



جامعة طهران
فردیس قم

٣

مجلة اللغة العربية و آدابها

السنة الأولى - العدد الثالث - شتاء ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م

- ٥ * الرمزية في ادب نجيب محفوظ
الدكتور جواد اصغري
- ١٩ * الالتزام السياسي في شعر معروف الرصافي
الدكتورة منصوره زركوب و الدكتور محمد رضا توكلبي محمدي
- ٤٧ * قضية الترادف بين الإثبات و الإنكار
الدكتور حامد صانغلي وطيه سيفي
- ٧٥ * التطور الدلالي لمادة الأدب
الدكتور علي رضا محمدرضايي تر عالية سادات واصلي
- ٨٩ * التوقيف و علاماته: دور الإغريق و الروم و الفرس في ابتداعه
الدكتور مهدي شمس
- ١٠٧ * قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب (دراسة تطبيقية لنماذج من كتابات محمد مندور و سيد قطب و محمد عبيد هلال)
هوسن ناظميان
- ١ * خلاصة المقالات بالانجليزية



مرکز تحقیقات کتابت ویراسته‌های اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلة اللغة العربية و آدابها

الناشر: فرديس قم التابع لجامعة طهران

رئيس التحرير: الدكتور علي رضا محمد رضايي استاذ مساعد بفرديس قم التابع لجامعة طهران
هيئة التحرير:

الدكتور: محمد علي آذرشب:	استاذ بجامعة طهران
الدكتور: صادق أنيله وند:	استاذ بجامعة اعداد المدرسين
الدكتور: سيد امير محمود انوار:	استاذ بجامعة طهران
الدكتور: سيد محمد مهدي جعفري:	استاذ بجامعة شيراز
الدكتور: فيروز حريزجي:	استاذ بجامعة طهران
الدكتور: محمد فاضلي:	استاذ بجامعة فردوسي مشهد
الدكتور: نادر نظام تهراني:	استاذ بجامعة العلامة الطباطبائي
الدكتور: غلام عباس رضائي:	استاذ مشارك بجامعة طهران
الدكتور: محمود شكيب:	استاذ مشارك بجامعة طهران
الدكتور: حامد صدقي:	استاذ مشارك بجامعة تربيت معلم
الدكتور: خليل پرويني:	استاذ مساعد بجامعة اعداد المدرسين
الدكتور: مجتبی رحمان دوست:	استاذ مساعد بفرديس قم التابع لجامعة طهران
الدكتور: عدنان طهماسبی:	استاذ مساعد بجامعة طهران
الدكتور: قاسم مختاري:	استاذ مساعد بجامعة اراك
الدكتور: سيد فضل اله ميرقاندري:	استاذ مساعد بجامعة شيراز

مدير التحرير: حجة الاسلام حبيب الله طاهري، استاذ مشارك بفرديس قم

مدير النشر: مهدي رئيسي

المترجم الى الانكليزية: ابو الفضل ايماني راضب

الكاتبة بالالة: اعظم جاوشي

المطبعة: موسسه چاپخانه بزرگ، قم

العنوان: قم، بلوار دانشگاه (جاده قدیم تهران)،

صندوق پستی ۳۵۷، کد پستی ۳۷۱۸۵، تلفن ۶۱۶۶۱۲، فاکس ۶۱۶۶۱۱۲

البريد الإلكتروني: Arabic@qc.ut.ac.ir

الشن: ۵۰۰۰ ريال و لطلبة جامعة طهران ۲۵۰۰ ريال

الهيئة الاستشارية في هذا العدد

١- الدكتور: جواد اصغرى

٢- الدكتور: فيروز حريرچي

٣- الدكتور: محبى رحمان دوست



٤- الدكتور: غلام عباس رضائي

٥- الدكتور: عدنان طهماسبي

٦- الدكتور: محمد صادق فتحى دهكردي

٧- الدكتور: علي رضا محمد رضائي

قواعد النشر

مجلة اللغة العربية و آدابها فصلية علمية تصدر عن فرديس قم التابع لجامعة طهران. تنشر البحوث من الجامعات و المؤسسات العلمية و الدراسية الايرانية و العربية و الاجنبية في مواضيع اللغة العربية و آدابها، بعد مراعاة الامور التالية:

١- يقدم البحث مطبوعاً من ثلاث نسخ ، على وجه واحد من ورق (A4) تاركاً سطرًا بين سطرين و بخط (١٤) مع القرص المرن الخاص به

٢- لا تتجاوز الصفحات المطبوعة ٢٥ صفحة و لا تقل ١٠ صفحات.

٣- يرفق الباحث ملخصاً للبحث باللغتين العربية و الانجليزية في حدود ١٠٠-١٥٠ كلمة مطبوعاً يذكر فيه موضوع المقال و بنيته.

٤- يرفق الباحث كلمات رئيسة يدور المقال حولها.

٥- يجب أن تكون الاحالات الى المصادر و المراجع في النص، مختصرة وافية، يكتفى بذكر اسم المؤلف، سنة النشر، رقم الصفحة، بعد الاقتبس مباشرة.

٦- توضع الهوامش في نهاية كل صفحة او في نهاية البحث بترقيم متسلسل.

٧- تذكر معلومات المصادر و مراجع الاجنبية باللغة العربية في النص و باللغة الاجنبية في هامش الصفحة.

٨- يوضع فهرس للمصادر و المراجع في نهاية البحث و يرتب تحتها ترتيباً الفبائياً، حسب الاسماء المشهورة للمؤلفين، فاذا كانت كتاباً يضع في الباقها مايلي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، (بالنسخ الاسود)، اسم المحقق و الشارح او المترجم، رقم الطبعة، اسم الناشر، مكان النشر، السنة.

و اما اذا كانت مقالات فيجب في الباقها مايلي:

اسم المؤلف، عنوان المقال، اسم المجلة، العدد، السنة.

❖ لا تقبل المجلة البحوث التي سبق نشرها في أية مجلة علمية او غيرها

❖ اصول البحوث المقدمة للنشر لا ترد و لا تسترجع سواء نشرت ام لم تنشر

❖ رجاء أن يكتب الباحثون اسمائهم أو شعاداتهم، و الرمز البريدي و رقم التليفون. و البريد الالكتروني.

ترسل البحوث و جميع المراسلات الخاصة بمجلة اللغة العربية بالعنوان التالي:

قم- جاده قدیم تهران- بهردیس قم دانشگاه تهران مهدي رئيسي مدير النشر لمجلة اللغة العربية و آدابها.

قائمة المواضيع

- * الرمزية في ادب نجيب محفوظ..... ٥
الدكتور حراد اصغري
- * الالتزام السياسي في شعر معروف الرصافي..... ١٩
الدكتورة منصوره زركوب و الدكتور عمور رضا نوكلبي محمدي
- * قضية الترادف بين الإلتهات و الإنكار..... ٤٧
الدكتور حامد صديقي وطيه سيني
- * التطور الدلالي لمادة الأدب..... ٧٥
الدكتور علي رضا محمدرضاوي و عالية سادات واصلی
- * الترفيم و علاماته: دور الاغريق و الروم و الفرس في ابداعه..... ٨٩
الدكتور مهدي ممثعن
- * قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب (دراسة تطبيقية لتساذج من كتابات محمد مندور و سيد قطب و محمد شهي
هلال)..... ١٠٧
هو من ناظميان
- * خلاصة المقالات بالانجليزية..... ١

مجلة اللغة العربية و آدابها

السنة الاولى - العدد الثالث - شتاء ١٤٢٧ ق/ ٢٠٠٦ م

ص ١٧-٥

الرمزية في ادب نجيب محفوظ*

الدكتور جواد اصغري**

خلاصة:

لا يمكن الرؤية الى أدب نجيب محفوظ من إتجاه واحد إذ أن لهذا الكاتب الكبير بسبب معرفته بالتيارات و الحركات الفكرية و الفلسفية، توجهات مختلفة في خلق الرواية و نرى مذاهب أدبية مختلفة في آثاره منها الواقعية و الرمزية و الوجودية و نحن في هذا البحث نتطرق الى رواياته التي تشتمل على ميزات مذهب الرمزية و هي اولاد حارتنا و اللص و الكلاب و السمان و الخريف و الطريق و الشحاذ و ثرثرة فوق النيل و ميرامار. من الجدير بالذكر أن لأدب محفوظ مرحلة واقعية قبل الرمزية تستوعب روايات القاهرة الجديدة و خان الخليلي و بداية و نهاية و زقاق المدق و ثلاثية بين القصرين و قصر الشوق و السكرية و نرى الاتجاه الرمزي الموضوعي فيها ولكن محفوظ في هذه المرحلة ما استعرض الى الرمزية الفنية و في الحقيقة يمكن ان نفسّر هذه الرمزية الى ان لرواياته الواقعية قشوراً متعددة يتمتع منها شرائح مختلفة من الافراد.

الكلمات الرئيسية : الواقعية، الرمزية، الرواية.

* تاريخ وصول: ٨٥/٨/١٠ تاريخ القبول: ٨٥/٩/٦

** استاذ مساعد بجامعة طهران فرديس قم

مقدمة:

تعريف مذهب الرمزية عمل صعب و هذا المذهب يرتبط بأحد شعراء فرنسا قبل أن تظهر في ميدان الرواية المسرحية. استخدم «جين مورياس» مصطلح الرمزية في سنة ١٨٨٦ و هدفه من ابداع هذا المصطلح رفض الاوصاف التي تنتسب الى الشعراء الرمزيين في تلك الزمن. و تبلور الاتجاه الرمزي في الادب الأوروبي من خلال رواده: بودلير (١٨٦٧-١٨٢١م) و بول ورلين (١٨٩٦-١٨٤٤م) و آرثور ريمبو (١٨٩١-١٨٥٤م) و مالارمي (١٨٩٨-١٨٢٤م). و الرمزية طريقة تتناسب لتوصيف الحالات النفسية و الأحاسيس المفرطة او المبهمة والغامضة التي لا ترتبط بأي منطق و هذا يرجع الى ميزاته الفنية و اساليبه التعبيرية الجديدة. و الحركة الرمزية كانت ثورة امام المدرسة الطبيعية التي كانت تصرّ على الواقعية. و تلك الحركة كانت - ايضاً - طغياناً على البرناسية التي تتميز بالوضوح المفرطة. و الرمزية محاولة للتسرب الى ما بعد الواقعية و التوصل الى عالم الافكار. ناهيك أن بإمكاننا أن نعتبر الرمزية امتداداً لمدرسة الرومانسية لأنهما متأثران من الأحاسيس و يتعارضان مع العقل و يقفان الى جانب الانعزال و الباطنية و التعبير عن أحاسيس معقدة غامضة خفية. ولكن من جهة أخرى تعتبر الرمزية ردة فعل ضد الرومانسية لأنها جاءت بروح عقلاي و أضافته الى الأدوات التي تسبّب تأثير الشعر في النفوس و رفضت استخدام الادوات التقليدية في الشعر، فالشعر الرمزي مجموعة من صور معقدة و غامضة خلقت عن قصد لإبعاد أذهان القارئ من الواقع و انتقاله الى ما بعده حتى يصل من خلال هذه العملية الى جوهر الفكر (فاطمة الزمرا، محمد سعيد،

١٩٧٨م، ص ١٧٨). في السطور الآتية نتطرق الى روايات نجيب محفوظ الرمزية و التي رتبناها على اساس زمن نشرها.

اولاد حارتنا

نشر محفوظ روايته «اولاد حارتنا» عام ١٩٥٩ م و مع هذه الرواية بدأت مرحلة جديدة في عمله الروائي و بعبارة أخرى انتهت بهذه الرواية مرحلة الواقعية في ادب نجيب محفوظ و بدأ مرحلة الرمزية التي تأثر تأثراً شديداً بالفلسفة المعاصرة و فلاسفة متميزين أمثال أغوست كونت و هيجل و شوبنهاور.

يتناول محفوظ في هذه الرواية تاريخ البشرية و يتناولها في إطار الأديان السماوية و يقسم هذا التاريخ على اساس زمن ظهور الأنبياء . تتشكل هذه الرواية من خمسة اقسام سميت كل منها بأسماء الانبياء وهي : أدهم و جبل و رفاعة و قاسم و عرفة . يستفيد محفوظ من شخصية ادهم لتقدم تاريخ البشر من بدايته و كيفية خلقه و حمله مسؤولية إدارة الكون، فشخصية أدهم رمز لآدم (ع) و جبلاوي رمز لله عزّ و جلّ و ادريس رمز لإبليس الذي أبي و استكبر و ماسجد لإنسان:

«لا أنت إبني و لا أنا ابوك و لا هذا البيت بيتك و لا أم لك فيه و لا أخ و لا تابع، امامك الأرض الواسعة فاذهب مصحوباً بغضبي و لعنتي و ستعلمك الأيام حقيقة قدرك و أنت تقيم على وجهك محروماً من عظمي و رعايتي» (نجيب محفوظ، ١٩٥٩م، ص ١٦).

و أميمة في القسم الاول من هذه الرواية رمز لآمنّا حواء، و قدري و همّام
رمزان لقابيل و هابيل.

و في القسم الثاني يعرف الكاتب شخصية جبل الذي يرمز الى نبينا موسى
(ع). فالخارّة التي ابتليت بأمراض الظلم تحتاج الى رجل يجيء معه بعدالة و يستتبّ
المساواة و الإخاء فيها، فيختار الجبلاوي جبل الذي كان من أحسن فتیان الحارّة
لهذه المهمة. ثم يفوض جبلاوي مسؤولية انقاذ آل حمدان الى جبل و من المعلوم أن
آل حمدان رمز لبني اسرائيل في عهد نبينا موسى (ع) (سليمان الشطلي، ١٩٧٤ م،
ص ٢٥٤).

في القسم الثالث يظهر شخصية رفاعة كرمز لعيسى (ع) و يحاول أن يصلح
المجتمع الانساني من خلال اصلاح النفوس و الاهتمام بالارواح و السعي لتغييرها.
و مهمّة رفاعة كانت مكافحة عفاريت دون هواده و كلّما ترك عفريت فراغاً ملأه
الحب (نجيب محفوظ، ١٩٥٩ م، ص ٢٨٩). ولكن بعد فترة ملأت الحارة مصائب و ظلم
الفتوة و أدت رسالة رفاعة الى الفشل. هناك يهتم جبلاوي مرّة أخرى الى الحارة
و يرسل خطاباً شاملاً و حيويّاً لإسعاد جميع ساكني الحارة تحتوي حوائجهم المادية
و المعنوية و يختار لهذا الغرض «قاسم» الذي يتشكل رمزاً لبني الاسلام (ص).
كانت رسالة قاسم (في القسم الرابع من الرواية) انما للرسالات الماضية التي
بلورت في شخصيات أدهم و جبل و رفاعة و مشتملاً على عناصر الدوام و الثبات
و الاستمرار و كان يقول قاسم : «اذا نصرني المولى فلن تجد الحارة حاجة الى
أحد بعدي» (نجيب محفوظ، ١٩٥٩ م، ص ٣٦٤).

اللس و الكلاب

هذه الرواية أول أثر انتشر بعد رواية اولاد حارتنا. صورَ محفوظ فيها قضية الصراع بين الخير و الشر و القضاء على قيم تهدف الى الحياة التريهة للبشر و أشار أن سبب انهيار هذه القيم روّادها بذاتهم . يقول محفوظ في هذا الصدد : « تناولت هذا الموضوع في الشحاذ و ميرامار و اللص و الكلاب و الهدف من كل هذه الروايات إفصاح الطبقة التي خانوا الاشتراكية و وطنوا في سلّم الرقي و اعرضوا عن مبادئ الاشتراكية و المناضلات الماضية» (نجيب محفوظ ، ١٩٧٥م، ص٨٠).

يحكي محفوظ هذا المضمون في رواية اللص و الكلاب من خلال شخصية «سعيد مهران» و قضاياه مع خونة يعبر الكاتب منهم بالكلب.

يصوّر الكاتب اول تعاظمي بين سعيد و المجتمع عندما تبثلي أم سعيد بداء عضال و يعجز الابن عن توفير تكاليف العلاج و بالنتيجة لابد للأُم من الخروج من المستشفى. فلا يرى سعيد طريقاً أمامه إلا اللجوء الى السرقة و يرتكبها لأول مرّة حين ابتلاء أمّه بالمرض. رؤوف علوان زميل سعيد في الجامعة هكذا يتفلسف لسرقة صاحبه : الحقيقة هي أنني أرى هذا السرقة عملاً مشروعاً ... ألا يكون من العدل أن ما تسلب بالسرقة ترجع بالسرقة؟» (نجيب محفوظ ، ١٩٦١م، ص٦٢).

في هذه الرواية وقعت شخصية رؤوف علوان الثورية رمزاً للثوريين الذين طالبوا تغييراً جذرياً و كان يرى رؤوف في طبقة سعيد مهران (طبقة العمال) كياناً اجتماعياً يقدر التجاوز من ظروفه الصعبة الممتازة و احتمال الاستبداد. و هذا التعامل بين رؤوف علوان و سعيد مهران تعامل بين الرجال الثوريين و بين طبقة العمال اللتين تريدان المكافحة لأجل تحقيق اهداف الثورة و القاسم المشترك بينهما

هي ارادة التغيير (مراد و هبة ، ١٩٦٥م، ص ١٢). و الشيخ جنيدى الذي يكون رمزاً للفكر الدينى كان بعيداً عن عالم سعيدالفكرى و العقلى و بيته وقع في حارة بعيدة يذهب اليها سعيد عند الحاجة (سليمان الشطي، ١٩٧٤م، ص ٣٥٤).

يقول محفوظ عن هذه الرواية : « هذه الأفكار يتصل بطبيعة الارتباط بين الانسان و السلطة و خالفه و اجتماعه ، و عند كتابة هذه الرواية كنت في الواقع احرر قصة فلسفية انسانية واقعية تعبر عن ما ينادي في ضميري » (صبري حافظ، ١٩٧٧م، ص ١١٣). وفي اللص و الكلاب يستفيد الكاتب من «تيار الوعي» و خلاله ينتقل أحاسيس سعيد من موقعه الينا و يصوره من الخارج و الداخلى بحيث نحسّ البطل امامنا فعلاً (نبيل رانغب، ١٩٦٧م، ص ٢٤٣). و فيها ايضا يمكن اعتبار المقبرة رمزاً لمواجهة جديدة بين الموت و الحياة و إشارة الى أن المجتمع الذي طرد سعيد مهران الى الهامش ستطرده الى الأبدية و هذه الأبدية التي تتجلى في المقبرة رمز للوجود (محمود الربيعي، ١٩٧٤م، ص ٢٤).

مركز تحقيق وتطوير علوم إمداد

السّمان و الخريف

انتخب الكاتب شخصية عيسى دباغ بوصفه بطلاً لهذه الرواية حتى يصوّر من خلاله قضية الفرد امام تيار التغيير؛ الفرد الذي لا يرى مستقبلاً واضحاً قبالتة. يبدأ الرواية مع حريق عام ١٩٥٩ التي حدثت في القاهرة و كأنّ الكاتب يشير من خلاله الى دور الحريق المزدوج و الذي يتلعب بنايات كثيرة في القاهرة و يُحرق مستقبل عيسى السياسي. ايضاً هذا الحدث يرمز الى قضية يتحول فيها مصر و يدخل في عهد جديد في تاريخه و يشير الى نهاية عهد و بناء عهده جديد على انقاضه (ن. م، ص ٣٧).

و في إشارة رمزية يتناول محفوظ اعماق وجود عيسى و مصائبه. عند ما يستمع عيسى الى تُهمه في المحكمة كان مطمئناً من أن هذه التُّهم تكفي للقضاء على مستقبله. و بنظرة خاطفة نرى ان محفوظ يستخدم عناصر الرمز بحيث يشير الى المحتوى و المضمون. و لهذا نلاحظ ان اختيار عنوان «السَّمان و الخريف» إشارة رمزية. من الجدير بالذكر أن السَّمان تهاجر من شمال مصر الى اسكندرية و بعد سفرة مميتة تظن انها وصلت الى منطقة امن و لكن تقع في فخ الصيادين. و هذا الطير يشبه ماضي و حاضر عيسى الذي كان يظن أن مستقبلاً باهراً في انتظاره ولكن واجه ختاماً مظلماً. و مرض عيسى العضال حالة انزال حمله على نفسه و هذا المرض رمز للملال و العبث الذي يهدده. اما تعرضه لخطر الغرق في البحر هو استمرار طريق الثورة التي تركت الماضي بكل آماله و آلامه و انطلقت نحو تحقيق الاهداف و الاطماح. و في النهاية يمكن اعتبار شخصية عيسى دباغ تطبيقاً ثانياً لقضية الفرد من التغيير.

مركز تحقيقات ميتر عامر ردي

الطريق

في رواية الطريق نرى محفوظ يعرض عن تفنيد و تشجيع المجتمع و يتهم الافراد و يبدو انه يطرح ثانية - بعد اولاد حارتنا - مسألة نسيان القيم في اطار شخصية «صابر رحيمي». بنية رواية الطريق يتمحور حول مبدأ «تيار الوعي» و احداثه الهامة تنتقل الى القاريء من خلال هذا الوعي. و استفاد الكاتب من نفسية الرؤيا حتى يعبر رؤيا صابر غير المحدودة و بلبلته الفكرية بصورة رمزية و يقول انه يكتفي بطلب الحرية و الشرف و الأمن دون أن يدري ماهي الطرق لإيصالها.

و محفوظ يشير الى حالات صابر النفسية و اندفاعه الى الهلاك بواسطة تكرار كلمة كالظلمة كأنما الظلمة أرضية يغوص فيها روح صابر. و شخصية الشحاذ الاعمى في هذه الرواية دليل لفقدان البصيرة عند صابر. ايضاً يستفيد الكاتب من عنصر الطبيعة كمعادل لتحول الأحداث حول صابر. فمثلاً بعد قتل خليل ابوالنجا و بدء التفتيش و خوف صابر و قلقه من فضح جنائته، يسمع صابر صوت الطوفان، و في آن، يشعر بخناق تبعاً لضغوطه النفسية.

ايضاً نلاحظ عنصر التضاد في هذه الرواية. فعلى سبيل المثال اعدّ صابر خشباً للإستفادة منه كآلة للجنابة و هذا الخشب كان قائماً بالياً لسرير الولادة و هذا اشارة الى عبثية الحياة التي تتوحد فيها آلات المهد و اللحد (محمدحسن عبدالله، ١٩٨٤م، ص ٣١٢).



الشحاذ

كما رأينا في رواية اللص و الكلاب صوراً محفوظ فرداً تنكّر الصمت امام نقض العدالة و طغى عليه و حين التغيير في المبادئ و المثل العالية بلغ طغيانه اوجه ثم ينحرف عن المسير القويم و يسقط في الظلمات. يبدو أن محفوظ في روايته «الشحاذ» يقدم تلك الشخصية المنحرفة و المرتدة التي انقضت عشرين عاماً : تركت المناضلات و انضمت الى تيار انتهج الارتباط بالطبقة الحاكمة الجديدة.

وفي الشحاذ، طرح محفوظ قضية الفن و تأثيره على المجتمع من خلال شخصية عمر حمزاوي و يحىء بالميراث التي يطرحها البعض عن افتقاره الى الختوي من لسان مصطفى منياوي: « ما ابقت العلم شيئاً للفن. تجدد في العلم لذة الشعر و سكرة الدين و طيران الفلسفة. صدقني أنه ما بقيت للفن الآ اللعب و

سيجىء يوم يتبدل فيه الفن الى زينة النساء تستفاد منه في شهر العسل». (نجيب محفوظ، ١٩٦٥م، ص ٢٠). و تسمية هذه الرواية باسم الشحاذ تدلّ على ان هذه رواية الطلب و البحث عن الحقيقة بعد ان احتاجت النفس اليها و تشعر بفراغه لأن عمر حمزاوي بدأ عمله كشاعر مثالية ثم تحوّل الى مناضل ثوري و اخيراً الى بورجوازي جامد و ساكن (محمود الربيعي، ١٩٧٤م، ص ٧٧). و الشحاذ هو عمر حمزاوي الذي يكون رمزاً للفراغ الثقافي و الفكري و تراجيديه في ثروته المادية و خلأه الفكرية و حياته التي تجسّد التضاد بين القول و الفعل (ابراهيم عبدالرحمن، ١٩٧٦م، ص ١٦٨).

و الخطاب في الشحاذ خطاب الحكمة و النبوة و الشعر و خطاب التمرکز و الشمول و الحموم و التجريد و التأثير العميق و هذا الخطاب تناسب التأمّلات الفلسفية و الاحوال الصوفية التي يقدمها في الرواية (عمود امين العالم، ١٩٦٥م، ص ٧٧).

ثروة فوق النيل

البنية الوظيفية في هذه الرواية تعتمد الى الابطال المتعدّدة. ففي هذه البنية يقدّم أيّ من الابطال بُعداً من موضوع الرواية. وفي هذه الرواية يستخدم محفوظ لأوّل مرة منهج وحدة المكان و نرى فيها شخصيات الرواية في عوامة أرسّت في جانب النيل و واضح أنّ هذه العوامة رمز لواقع الافراد الذين يسكنون فيها و الهدف من اختيار العوامة كمكان لوجود المثقفين هو الإشارة الى عدم ثباتهم و استقرارهم و هذا هو واقع وجودهم. والعوامة تخلق احساساً عن حياة تقع في هامش الواقع و تتحرك دائماً و تضاهي سفينة تدبّ لحظة الوطء فيها (محمود الربيعي، ١٩٧٤م، ص ١٠٣). و اختيار العوامة يحكي عن معنى الانعزال الذي ابتلي به مثقفون مصر. و للكاتب

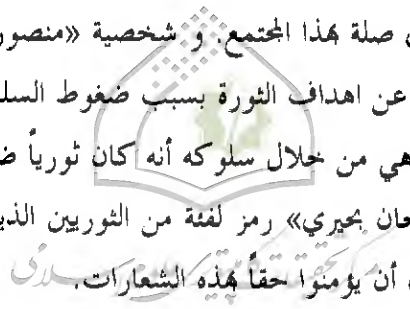
اشارات رمزية للتعبير عن جمود انيس زكي احد ابطال الرواية، و انزاله فمثلاً بجده تتبع سُحْلِيَّة تزحف بسرعة على الجدار و تخفى و تذكر السحلية رئيس الادارة. ولكن لماذا؟ هذا التصوير الفني اشارة الى الجمود الذي يتألم الزكي منها و نتيجة لغضبه على مهنته التي يشتغل بها بدافع الضرورة و الاحتياج، لا يجتم محفوظ روايته هذه دون إشارة الى فكرة القدر في حياة الانسان. فعلى سبيل المثال ، قتل الزارع بغض النظر عن توضيحته لثروة المثقفين يرمز الى فكرة القدر و هو الظاهرة المجهولة التي تصعب تفسيرها للانسان (لطيفة الزيات، ١٩٧٠م، ص ٦٧).

ميرامار

استخدم محفوظ في رواية ميرامار منهج وحدة المكان ثانية وجعل هذا المكان بنسبونا يحدث فيه وقائع روايته. و بهذا الاختيار أشار الكاتب الى عدم الاستقرار الذي يدرك في مييزات ابطال الرواية النفسية. و الابطال هذه يقعون في مفترق الطريق و ينقضون مرحلة من حياتهم يحدث فيها الثورة بمختلف تحولاتها و تواطنوا مع مرحلة جديدة ملئت بالقلق و الاضطراب حول المستقبل . و أشار الكاتب الى التراع بين هذه الابطال الذين يرمزون الى مختلف شرائح مجتمع مصر من خلال شخصية «عامر وجدي» وهو صحفي قدم شارك في مناضلات الشعب المصري و أدي دوره في الحركة الوطنية . و عامر وجدي من طبقة العمال هاجر من قريته الى القاهرة و دخل في الازهر ثم اصبح رجلاً سياسياً انضم الى حزب الأمة ثم الى الحزب الوطني و اخيراً الى حزب الوفد و شاهد ثورة ١٩١٩ و من اخلص مؤيدي قائد هذه الثورة أي سعد زغلول. فهو تجسيد للشعب المصري و ماضيه الحية

القريبة و ذكرياته النضالية الوطنية و تبلور أصالة الشعب المصري في وفاءه بالنسبة الى تراثه الفكرية و عقيدته الدينية (شفيع السيد، ١٩٧٦م، ص ٣٠٩).

و تمثل «ماريانا» بنسيون ميرانار وهي - أي المالكة - رمز لبقاء الاستعمار و الاجنبي في البلد المصري و شخصية «زهرة» التي صورها محفوظ من خلال اطار الرواية رمزاً للطبقة الفقيرة في مصر والتي تخدم المثقفي هذا الشعب و تنو الى حياة افضل و لكنها تواجه دائماً ازدراء الآخرين و استثمارهم.

والكاتب باستخدام شخصية «حسين علام» يقدم رمزاً للفئة التابعة لطبقة المالكين و يحكي اوضاعهم بعد الثورة. و حسني علام يتألم من منطق المجتمع الجديد و ينزل و يمتنع من أي صلة بهذا المجتمع. و شخصية «منصور باهي» رمز لفئة من الثوريين الذين اعرضوا عن اهداف الثورة بسبب ضغوط السلطة الحاكمة و الخوف منها. و أثبت منصور باهي من خلال سلوكه أنه كان ثورياً ضعيفاً عاجزاً خائناً اهداف الثورة. و «سرحان بحيري» رمز لفئة من الثوريين الذين استغلوا الثورة بشعارهم المظنونة دون أن يؤمنوا حقاً بهذه الشعارات. 

نتيجة البحث:

كان محفوظ في بداية عمله الروائي منخرطاً في صفوف الواقعيين وبتعبير آخر بعد كتابة ثلاث روايات تاريخية اتجه الى الواقعية وكتب القاهرة الجديدة و حسان الخليلي و زقاق المدق و بداية و نهاية و ثلاثيته بين القصرين و قصر الشوق و السكرية. ثم مال الى جانب المذهب الرمزي و التعبير عن آراه من خلال هذا المذهب الأدبي و خلق روايات اولاد حارتنا و اللص و الكلاب و السمان و الخريف و الطريق و الشحاذ و ثرثرة فوق النيل و ميرانار. وهو بهذه الروايات تطرق الى شؤون الشعب المصري كما اعتاد ان يعمل هكذا في رواياته الواقعية.

ولكن بعد فشل الثورة الاشتراكية استفاد محفوظ من الرمز لتصوير المجتمع المصري و تبين عوامل هذا الفشل و ايضاح الوضع الراهنة للشرائح المختلفة التي شاركوا في الثورة.



مركز تحقيقات كاتوليكية في علوم إسلامية

المصادر و المراجع

- ١- راغب، نبيل، قضية الشكل الفني عند نجيب محفوظ ، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشر، ١٩٦٧م.
- ٢- الربيعي، محمود، قراءة الرواية، بيروت، دارالمعارف ، ١٩٧٤م.
- ٣- السيد، شفيق ، اتجاهات الرواية المصرية منذ الحرب العالمية الثانية الى سنة ١٩٦٧، القاهرة ، مؤسسة الشباب ، ١٩٧٦م.
- ٤- عبدالرحمن محمد، ابراهيم، الادب المقارن بين النظرية و التطبيق ، القاهرة، مؤسسه الشباب ، ١٩٧٦م.
- ٥- عبدالله، محمدحسن، الاسلامية و الروحية في ادب نجيب محفوظ، كويت، دارالأمّل، ١٩٨٤م.
- ٦- الشطي ، سليمان، الاتجاه الرمزي في ادب نجيب محفوظ ، رسالة جامعية في الماجستير، جامعة كويت ، ١٩٧٤م.
- ٧- فاطمة الزهراء ، محمد شتيعيد ، الرمزية في ادب نجيب محفوظ ، بيروت ، دارالطليلة، ١٩٧٢م.
- ٨- محفوظ، نجيب، اولاد حارتنا، القاهرة، مكتبة مصر ، ١٩٥٩م.
- ٩- محفوظ، نجيب، السمان و الحريف، القاهرة، مكتبة مصر ، ١٩٦٢م.
- ١٠- محفوظ، نجيب، اللص و الكلاب، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٦١م.
- ١١- محفوظ، نجيب، الطريق، القاهرة، مكتبة مصر ، ١٩٦٤م.
- ١٢- محفوظ، نجيب، الشحاذ، القاهرة، مكتبة مصر ، ١٩٦٥م.
- ١٣- محفوظ، نجيب، ثرثرة فوق النيل، القاهرة، مكتبة مصر ، ١٩٦٦م.
- ١٤- محفوظ، نجيب، مرامار، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٦٧م.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مجلة اللغة العربية و آدابها

السنة الاولى - العدد الثالث - شتاء ١٤٢٧ ق/ ٢٠٠٦ م

ص ٤٥-١٩

الإلتزام السياسي في شعر معروف الرصافي*

الدكتورة منصوره زركوب**

الدكتور محمود رضا نوكللي محمدي***

ملخص :

معروف الرصافي شاعر عراقي معاصر. ولد عام ١٨٧٥م في بغداد و توفي فيها عام ١٩٤٥م. تلقى دروسه الابتدائية في الكتائب و في إحدى مدارس بغداد . بعد إتمام دروسه الابتدائية ذهب إلى المدرسة الرشدية العسكرية لكنه لم يحرز شهادته، ثم تلمذ عند العلامة الألوسي و صار معلماً في المدارس. بعد ذل انتجه إلى الأعمال الرسمية ولكن بعد مدة استقال منها...

مرت على الرصافي في حياته السياسية ثلاث مراحل هامة هي: الإمبراطورية العثمانية و الاحتلال الإنجليزي و الحكومات الصورية. هذا المقال يتطرق إلى مواقف الرصافي السياسية يبين رأي الشاعر فيها مستفيداً من أشعار الشاعر خاصة و آراء الآخرين في هذا الصدد عامة.

الكلمات الرئيسية: الرصافي، الإلتزام، الحكومة العثمانية، الإنتداب، السياسة.

* تاريخ الوصول : ٨٤/١٠/١٠ تاريخ القبول: ٨٤/١١/١٥

** الأستاذة المساعدة بجامعة إصفهان

*** أستاذ بجامعة قم

مقدمة :

كان العرب قبل عصر النهضة يعيشون في انحطاط قاتم مظلم و طال نومهم في هذا الوضع المؤسف، ولكن بعد انتظار طويل و نوم كريح في ليل طويل أخذت شمس عصر النهضة بالشرق، فبعد حملة نابليون بونابرت إلى مصر سنة ١٧٩٨ م خرج العرب من ليلهم المظلم و بدأوا يخطون في طريق الحضارة و التقدم.

إنّ عيون العرب في مقطع هذا العصر بما مهدّ الطريق من العوامل منها: أ- فتح قناة السويس. ب- الصراع بين العثمانيين من جهة و بين اوربا من جهة أخرى. ج- الثورة الفرنسية و إنتشار مبادئها و معتقداتها في العالم العربي. د- البعثات العلمية التي كانت ترسل إلى اوربا لتعلم الثقافات الأجنبية و الأوروبية. هـ - حملة نابليون بونابرت إلى مصر. هذا و بدأ العرب يخرجون مما هم فيه من الخمول و الكسل و التحلف و بدأوا نضالا سياسيا و اجتماعيا و اقتصاديا في هذا الصدد وصولا إلى ما يريدونه من الرقي و الحضارة. أمّا الأدياء فهم أرادوا أن يدخلوا في هذا النضال الشعبي و رأوا أنّ على عاتقهم ايقاظ شعبهم و وعيهم و تفتح عيونهم أمام ما يقع في مجتمعهم. معروف الرصافي ايضا من هؤلاء الشعراء ارتبط بالمجتمع الذي عاش فيه ارتباطا وثيقا، و وقف شعره لهذا المجتمع.

ننظر عابراً إلى حياته و آرائه في العثمانيين و الانتداب و الحكومة و الوزراء و الدستور و مؤتمر باريس و المعاهدات و الانكليزية و الشرق:

١- حياة الرصافي

ولد معروف عبدالغني الرصافي في حي الرصافة سنة ١٢٩٢هـ في الجانب الشرقي من مدينة بغداد في أسرة متوسطة الحال ، أما أبوه فمن عشيرة كردية تقطن في نواحي

كركوك تسمى الجبارة وتدعى هذه العشيرة أنها علوية النسب ويسلم لهم جميع اهالي كردستان بذلك، فان صح إدعاؤها فهي عربية الأصل ، وأما أمه فمن عشيرة قراغول وهم بطن من شمر القاطنين في سهول العراق». (رفايل بطي، ١٩٢٣م، ص ٦٩) و يبدو أن : «والده عبد الغني أفندي كان جنديا متدينا كثير الصلاة ، كثير الأسفار والتنقلات في مهمات عسكرية، ولم يكد يألف البيت الزوجي ، ووالدته فاطمة بنت جاسم كانت ولية إنها منذ طفولته الأولى حتى نهاية عقده الثاني ، وإليها يعود في معظم مشكلاته ، إذ كان غياب والده عن منزله شبه دائم ». (إيمان يوسف بقاعي، ١٩٩٤م، ص ٢٥).

تلقى الرصافي دروسه الابتدائية في الكتاتيب و في إحدى مدارس الرصافة، ثم ذهب إلى المدرسة الرشدية العسكرية ولكن لم يحرز شهادتها، بل ترك المدرسة و تتلمذ عند العلامة محمود شكري الألوسي في علوم اللغة العربية و ما يرتبط بها حول ثلاث عشرة سنة. بعد ذا إنجحه إلى التدريس في المدارس الابتدائية و في مدرسة الإعداد العسكري و ظل في هذا العمل حتى أعلن الدستور عام ١٩٠٨م، فذهب إلى الآستانة و انتخب مدرسا للعربية « في المدرسة الملكية الشاهانية وللإسهام في تحرير مجلة (الارشاد) وانتخب نائبا عن لواء المنتفق في مجلس المبعوثان العثماني (حنا الفاعوري، ١٩٩١م، ج ٤، ص ٥٧٢)، ثم ترك الآستانة و في عام ١٩٢١ بعد الحرب العالمية الأولى و حين تألفت الحكومة العراقية المؤقتة، استدعته الحكومة و عينته نائبا لرئيس لجنة الترجمة و التعريب في وزارة المعارف، أما في سنة ١٩٢٨ فاستقال الرصافي من الأعمال الرسمية و أنتخب عضوا في مجلس النواب خمس مرات مدة ثمانية أعوام.

إنه زار مصر عام ١٩٣٦ و صمم على المقاومة و الكفاح ضد الاحتلال البريطاني و بعد فشل احلامه عاش في شبه عزلة من الناس في بيته في حي الأعظمية و إنتابه العلل

و الأمراض و كان الوضع هكذا إلى أن توفي عام ١٩٤٥م. يصف محمد مهدي الجواهري حال الرصافي عند احتضاره قائلا : «إنتهى الرصافي مساء يوم ١٦ آذار من عام ١٩٤٥ في تلك الغرفة الجرداء التي لا أنساها أبدا، وكان امامي ممددا على سرير من السرر الرخيصة وقد أحس بي وأنا أدب على أطراف أصابعي لئلا أوقظه، وكانت حيرتي في أين أجلس، إذ ليس في الغرفة كرسي أو خشبة أو حتى حجر للجلوس. وتبدد حيرتي باستيقاظ الرصافي وجلوسي على السرير، فيتحامل على نفسه، فألح عليه ألا يفعل، فيأبى، فأطيع، فأتحدث إليه آخر حديث قبل أن يموت. وقد إنقضى عصر الرصافي في هذه الغرفة الجرداء، ولم يسدل عليه ستار وكان الجومشمسا والضوء يؤدي عيون الرصافي. وكان على درجة من الحرارة لا يطيقها مريض، وأحلف صادقا انه لم يكن في غرفة صاحب هذا الجليل ستار أو غطاء يمد عليه». (أحمد أبو حافة، ١٩٧٩م، هامش ٢٠٥) فرحمه الله و يقرنه بجليل نعمائه.

٢ - الالتزام السياسي في أشعار معروف الرصافي

كان الرصافي يعيش في زمن شهد تجتمعه كثيرا من الأحداث و التطورات السياسية الخطيرة، فهو عايش في حياته الأدبية ثلاثة عهود سياسية، فأول مرحلة حياة الشاعر الأدبية مضت تحت ظل الحكم العثماني و ما رأى فيه من الاستبداد و ظلم الحكام وذوي القدرة على الناس، ثم إنقلبت الأوضاع و رأت الأمة العربية نفسها أمام الحرب العالمية الأولى و قيام شريف حسين و وقوفه أمام العثمانيين، ثم إحتلال العراق من قبل الإنجليز و هذا العهد يكون المرحلة الثانية من حياة الشاعر السياسية و المرحلة الثالثة تكون عهد الإنتداب و الرصافي بصفته شاعر ملتزم ما سكت أمام هذه الحوادث بل نظم أشعارا كثيرة فيها.

١-٢- الرصافي والعثمانيون:

إنَّ الرصافي في عهد العثمانيين عارض السلطان عبد الحميد و قام أمام إستبداده و تعسفه ولكن هذا لا يعني أنه عارض الحكومة العثمانية كلها، لا؛ بل اعتقد الرصافي بالإصلاح في إطار الدولة المركزية معارضاً الإستبداد الحميدي، قائلاً في قصيدته « تنبيه النيام» (الرصافي، ١٩٨٦م، ج١، ص٢٩٦):

أما أن أن يغشى البلادَ سعودُها و يذهبَ عَن هذي النيامِ هجودُها
مَتَى يَتَأَتَى في القلوبِ إنباهُها فَيَنجَابَ عَنها رَينُها و جُمودُها
أما أسدٌ يحمي البلادَ غَضَنُفُ فَقَدَ عاثَ فيها بالمَظالمِ سَيدُها

فهو بعد ذكر هذه الأبيات التي تشبه مقدمة تمهد الشرائط للتطرق إلى الموضوع الرئيسي ينشد أشعاراً يدرس فيها أوضاع المجتمع تحت سيطرة الإستبداد الحميدي متعجباً لخضوعهم أمام السلطان قائلاً:

عَجِبْتُ لِقَوْمٍ يَخْضَعُونَ لِدَوْلَةٍ يَسُوسُهُم بِالْمُوبِقَاتِ عَمِيدُها
و أعجَبُ مَنْ ذَا أَنَّهُمْ يَرْهَبُونَها وَأُمُوالُهُم منها و مِنْهُم جُنُودُها
إِذَا وَلَّيْتُ أَمَرَ العِبادِ طِفائِلُها و سَادَ على القومِ السُّرَّةُ مَسُودُها
فَمَا أَنْتَ إِلَّا آيَةُ المَوْتِ نَعْمَةً يَعْضُّ على أَهْلِ الحِفاظِ جُحودُها

يعتقد الرصافي بأنَّ على الحكومة أن ترهب من الناس و من عدم رضاهم من أعمال الحكام، لأنَّ كل ما يكون بين ايديها من الجيوش و النقود ... من الناس و يتعجب لأنه يرى في مجتمعه أنَّ الأمر شاع خلافاً لذلك و الناس يخافون الدولة و بعد ذا يقول إذا اصبح العلماء منبذين و الجاهلون مدعوين، فالموت أفضل و أعلى من العيش،

ثم يعرض أبناء وطنه على الكفاح و الثورة على الإستبداد الحميدي و يوجه اليهم الشنان بسبب سكوتهم امام هذا التعسف المظلم قائلاً:

بني وطني ما لي أراكم صَبَرْتُمْ على سُوبِ أعيانِ الحُصاةِ عديدها
فَعُدْتُمْ عن السعيِ المُؤدِّي إلى العُلى على حين يُزري بالرجالِ قعودُها
و لم تأخذوا لِلأمرِ يوماً عُناده ف جاء أمورُ ساءَ فيكم عتيدها
فهو يشمت أبناء شعبه بسبب عدم معارضتهم الحكومة و يحذرهم من يوم
يتحسر الناس على ماضيهم و قعودهم و إهمالهم أعمالهم و هذا إلترام حقيقي نراه في
أشعار معروف الرصافي، ثم الشاعر يدعو الناس إلى الإتحاد و التعاون و يبعدهم من أن
يكونوا مقلدين تقليدا عشوائيا.

الرصافي في قصيدته « إيقاظ الرقود » (الرصافي، ١٩٨٦م، ج ١، ص ٣٣٢) يعالج
موضوعات كثيرة مرتبطة بالتزامه السياسي و الإجتماعي و يتطرق فيها إلى الإستبداد
الحميدي قائلاً:

حُكُومَةُ شَعْبِنَا جَارَتْ وَ صَارَتْ عَلَيْنَا تُسْتَبَدُّ بِمَا أَشَارَتْ
فَلَا أَحَدٌ دَعَتْهُ وَ لَا اسْتَشَارَتْ وَ كُلُّ حُكُومَةٍ ظَلَمَتْ وَ جَارَتْ
فَبَشَّرَهَا بِتَمْزِيقِ الْجُدُودِ
حُكُومَتُنَا تَمِيلُ لِإِخْسَائِهَا مُجَانِبَةً طَرِيقَ مُؤَسَّسِهَا
فَلَا يَغْرُرُكَ لَيْنٌ مُلَابِسِهَا فَهَمُّ كَالْتَارِ تُحْرِقُ لِامْسِهَا
و تُحَسِّنُ لِلنَّوَظِرِ مِنْ بَعِيدِ

فهو يشير إلى اوضاع مجتمعه زمن سيادة عبدالحميد عليه و يقول إن هذه الحكومة تستبد علينا و لا تستشير في أموره احدا، و من الطريف أنه يبين لنا إتجاهه حيال الحكم العثماني، فلا يرفضه رفضا بل يعتقد بالإصلاح تحت ظل الحكومة و يقول الآن نحن حدنا و إبتعدنا أنفسنا من طريق مؤسسي حكومتنا، فهو يطلق على الحكم العثماني بلفظ حكومتنا وهذا يعني عدم تعارض بين عقائد الشاعر و بين مشروعية الحكومة العثمانية بل الذي يعارضه الشاعر هو الإستبداد الحميدي فيردف قوله بسخرية حزينة:

أقولُ و لَيْسَ بَعْضُ الْقَوْلِ جَدًّا لِسُلْطَانٍ تَجَبَّرَ و اسْتَبَدَّا
تُعَدِّي فِي الْأُمُورِ و مَا اسْتَعَدَّا أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَفْدَى
وَمَنْ لَوْلَاهُ لَمْ نَكُ فِي الْوُجُودِ
أَمْ عَنْ أَنْ تُسَوِّسَ الْمَلِكَ طَرَفَا أَقِمْ مَا تَشْتَهِي زُمْرًا و عَرَفَا
أَطْلُ نُكْرَ الرِّعِيَةِ خَلَّ عُرْفَا سُمُّ الْبُلْدَانِ مَهْمَا شِئْتَ خَسَفَا
وَأَرْسِلْ مَنْ تَشَاءُ إِلَى اللَّحُودِ
فَدَتِكَ النَّاسُ مِنْ مُلْكٍ مُطَاعٍ أَبِنْ مَا شِئْتَ مِنْ طُرُقِ ابْتِدَاعٍ
و لَا تَحْشَ الْإِلَهَ و لَا تُرَاعٍ فَهَلْ هَذِي الْبِلَادُ سِوَى ضِيَاعٍ
مَلَكْتَ، أَوِ الْعِبَادُ سِوَى عَبِيدٍ؟

فهذه الأبيات ليست بأبيات أنشدها شاعرٌ للمتعة و الجمال، بل آلام و أحزان تعيش في صدر ملتزم أَلَّتْ به كوارث و ظلام و... تخرج شعراً بأسلوب السخرية و الهزل يخاطب السلطان كأنه يخيل أن يفكر في نفعه الشخصي و يظن أنه لا هممه منافع الناس راحتهم، فالناس ليسوا سوى أعبد و غلمان و إماء بين يديه،.

الشاعر في قصيدته « رقية الصريع » (الرصافي، ١٩٨٦ م، ج١، ص ٤٥٠) يخاطب العدل و يريد منه الرجوع إلى البلاد بعد نزوحه منها، ثم يتطرق إلى أوضاع الحكومة و ما شاع فيها من الفساد و الارتشاء. و يشبه دار الخلافة بسوق تباع و تشتري فيها المناصب الحكومية بالنقود و يشير مباشرة إلى الاستبداد الحميدي قائلاً:

أَبَتِ السِّيَاسَةُ أَنْ تَدُومَ حُكُومَةٌ خُصَّتْ بِرَأْيِ مُقَدَّسٍ لَمْ يُسْأَلِ
مَثَلُ الْحُكُومَةِ تَسْتَبْدُ بِحُكْمِهَا مَثَلُ الْبِنَاءِ عَلَى نَقْصٍ مُتَهَيَّلِ

بعد تشبيه هذه الحكومة ببناء مبني على الرمال المتحركة يخاطب أبناء شعبه قائلاً:
يَا أُمَّةَ رَقَدَتْ وَ طَالَ رُقَاذُهَا هُبِّي وَ فِي أَمْرِ الْمُلُوكِ تَأْمَلِي
أَيَكُونُ ظِلُّ اللَّهِ تَارِكُ حُكْمِهِ مَنصُوصٍ فِي آيِ الْكِتَابِ الْمُرَلِّ
أَمْ هَلْ يَكُونُ خَلِيفَةُ لِرَسُولِهِ مَنْ حَادَ عَنْ هَدْيِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
إنه يستنهض أبناء شعبه و يريد منهم التدبر في أمر الخليفة، ثم يواصل قوله بذكر بعض خصال هذه الخليفة المكروهة، منها عدم إنقياده أمام الشعب و الحكم على هواه دون رعاية مصالح الشعب و الاستغلال من صبر الناس و إنقيادهم له، ثم يدعو إلى الحكم الجمهوري:

إِنَّ الْحُكُومَةَ وَ هِيَ جُمْهُورِيَّةٌ كَشَفَتْ عِمَايَةَ قَلْبِ كُلِّ مُضَلَّلٍ
سَارَتْ إِلَى نَحْجِ الْعِبَادِ بِسِيرَةٍ أَبَدَتْ لَهُمْ حُمُقَ الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
إن الشاعر بعد التطرق إلى أوضاع الحكومة لا يطبق التكلم تحت استار الكلمات

المبهمة فيتدفق التزامه السياسي من صدره كعيون متفجرة و يهتف و يصرخ:

حَتَّامٌ بَقِيَ لُعبَةٌ لِحُكُومَةٍ دَامَتْ تُحَرِّغُنَا نَقِيعَ الْحَنَظَلِ
تَنَحَوْا بِنَا طُزُقُ الْبَوَارِ تَحِيفًا وَ تُسَوِّمُنَا سُوءَ الْعَذَابِ الْأَهْوَلِ

هذا و نَحْنُ مُجَدِّلُونَ تِجَاهَهَا كَالْفَارِ مُرْتَعِدًا تِجَاهَ الْخَيْطَلِ
ما بَالُنَا مِنْهَا نَحَافُ الْقَتْلَ إِنْ قُمْنَا، أَمَا سَنَمُوتُ إِنْ لَمْ نَقْتُلْ؟

فالشاعر بعد خلع السلطان وإعلان الدستور صار من مدافعي هذه الحكومة ضدّ الغرب و يدعو أبناء أمتة العربية إلى الذود عن الحكم العثماني و دعا إلى مقارعة أعدائه. و له قصائد رائعة يستنهض فيها المسلمين إلى الجهاد (انيس المقدسي، ١٩٨٨م، ص ٦٨) خاصة بقصيدة «إلى الحرب» (الرصافي، ١٩٨٦م، ج ٢، ص ٤٤١)، فيها يدعو الشاعر الشعب العربي إلى الحرب جنباً إلى جنب الأتراك ضدّ إيطاليا:

أَلَا الْهَضُّ وَ شَمَّرَ آيَهَا الشَّرْقُ لِلْحَرْبِ وَ قَبْلَ غِرَارِ السَّيْفِ وَاسِلُ هَوَى الْكُتُبِ
وَ لَا تَغْتَرِرْ أَنْ قِيلَ عَصْرُ مَدَنٍ فَإِنَّ الَّذِي قَالُوهُ مِنْ أَكْذَبِ الْكُذْبِ
أَلَسْتَ تَرَاهُمْ بَيْنَ مِصْرَ وَ تُونِسَ أَبَاحُوا جِمَى الْإِسْلَامِ بِالْقَتْلِ وَ التَّهْبِ
وَ مَا يُوْخَذُ الطَّلِيَانُ بِالذَّنْبِ وَ حَدَّهْمُ وَلَكِنْ جَمِيعُ الْعَرَبِ يُوْخَذُ بِالذَّنْبِ
وَ هَكَذَا الْحَالُ حِينَ نَشَبَتِ الْحَرْبُ الْعَالَمِيَّةُ الْأُولَى بَيْنَ الدُّوَلِ الْأُورِيبَةِ وَ دَخَلَ
تُرْكِيَا الْحَرْبَ إِلَى جَانِبِ آلْمَانِيَا وَ تُمَسَا «فَقَدْ وَقَفَ كَثِيرٌ مِنْ شُعَرَاءِ الْعَرَبِ أَيْضًا مَعَ
الدُّوَلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ فِي قِتَالِهَا ضِدَّ الْحُلَفَاءِ عِنْدَمَا نَشَأَتْ تِلْكَ الْحَرْبُ مَدْفُوعِينَ بِعَاطِفَتِهِمْ
الدِّينِيَّةِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهَا، وَ قَدْ إِنْعَكَسَتْ هَذِهِ الْمَوَازِيرُ فِي الْقَصَائِدِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي
نَظَمْتُ آنَظْذُ، وَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ مَعْرُوفُ الرِّصَافِيِّ الَّذِي يُمْكِنُ إِعْتِبَارُهُ مِنْ شُعَرَاءِ
الْمُتَجَمِّعِ الْإِسْلَامِيِّ بِرَغْمِ حَمَلَتِهِ الشَّعْوَاءِ عَلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ وَ إِسْتِبْدَادِهِ:

يَا قَوْمَ أَنْ الْعِدَا قَدْ هَاجَمُوا الْوُطَنَا فَانْضُوا الصَّوَارِمَ وَ احْمُوا الْأَهْلَ وَ السَّكَنَا

(عمر الدقاي، ١٩٨٥م، ص ٤٢)

هذه بقصيدة « الوطن و الجهاد »، فيها يدعو إلى دعم العثمانيين و يندد المصريين
بجاراتهم الإنكليز و تتبع سياستهم الإستعمارية في الحرب ويقول:

عارٌ على المُسلمينَ اليومَ إنَّهم لم يَنْقِذُوا مصرَ أو لم يَنْقِذُوا عَدَنَّا

(الرصافي، ١٩٨٦م، ج٢، ص٤٦٥)

إنَّ إنتقاد الرصافي للحكومات الفاسدة لا تكون في نطاق الدولة العثمانية
فحسب، بل هو بعد إختيار هذه الدولة قام يعارض الإنتداب البريطاني و الحكومات
الصورية بعدها.

١-٢-١- الرصافي و الدستور:

فرح الناس و معهم الأدباء بعد إعلان الدستور ، فهم كانوا يفكرون بأنهم قد
وصلوا إلى ما يريدون من الحرية و المساواة ولكن ما مضت إلا سنة واحدة من إعلان
الدستور حتى رأى الناس تملل الأحرار و بعدهم خطوة تلو أخرى من الشعارات و
المواعيد التي وعدوا بإنجازها في بادئ الأمر و الرصافي ايضا منهم، فوقف شعره في
سبيل الدفاع عنهم و عن قيمهم و عمّا يرتبط بإصلاحهم و نيلهم إلى التعالي و إلى
العلم و الثقافة، فما لبث أن يسّل لسانه من غمده و ينشد قصيدته « شكوى إلى
الدستور » (الرصافي، ١٩٨٦م، ج٢، ص٢٥٢) لما سقطت وزارة حلمي باشا و قامت بعدها

وزارة حقي باشا انتقد خطة الإصلاحيين عقب الدستور:

شكايّة قلب بالأسى نابض العرق	إلى قائم الدّستور و العدل و الحقّ
مُلوكٌ على كلّ المُلوك ثلاثة	لها الحكم دون الناس في الفتق و الرّق
و أقسمُ أنّي لا أكون لغيرها	مُطيعاً و لو من أجلها ضربت عُنقي
فهل آيها الدستورُ تُسمّعُ شاكيا	بك اليومَ يرحو أن يرى نهضة الشرق
لقد جئت من أفق الصّوارم طالعا	علينا طلوع الشمس من مَنتهى الأفق

فَصَادَفَتْ مِنَّا أُمَّةٌ قَدْ تَعَشَّقَتْ لِقَاءَكَ حَتَّى جَاوَزَتْ مَبْلَغَ الْعِشْقِ

فهو يخاطب الدستور و يذكر إعتنافه للحكم الدستوري ولو من أجلها ضُربت عنقه و هذا ينبع عن إلتزام الشاعر به و يعتقد بأن الدستور و الحق و العدل ملوك الناس و لا يليق لأحد غيرها- يعني غير الحق و العدل و الدستور- أن يحكم على الناس، ثم يذكر حبه و حب ابناء وطنه للدستور و الحكم الدستوري و يعبر عن أملهم للحكم الدستوري و هي الوصول إلى الإتحاد و الترقى:

بِكَ الْيَوْمَ أَشْقَانَا إِلَى أَنْتَ مُسْعِدٍ لَدَيْهِمْ فَيَا لَلَّهِ لِلْمُسْعِدِ الْمُسْقِي
تَرَاكَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى الْخَلْقِ حُجَّةً وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ حُجَّةٌ لَا عَلَى الْخَلْقِ
وَلَمْ تَكُنْ تَدْرِي لَاهْتِضَامِ حُقُوقِنَا أَنْخَنَ مِنَ الْأَحْرَارِ أَمْ نَحْنُ فِي رَقٍّ؟
وَلَمْ نَسْتَفِذْ إِلَّا سُقُوطَ وَزَارَةٍ وَتَأْلِيفَ أُخْرَى مِثْلَ تِلْكَ بِلَا فَرْقٍ
وَمَاذَا عَسَى يُجْدِي سُقُوطَ وَزَارَةٍ إِذَا لَمْ تَقُمْ أُخْرَى عَلَى الْعَدْلِ وَالصَّدَقِ

يعتقد الشاعر في هذه الأبيات بأن الذين صاروا حكام الناس و اولياء أمرهم بعد إعلان الدستور و بواسطة الدستور لم ينهجوا نهج الصواب بل خطوا في طريق تضليل الناس و سوقهم إلى الشقاوة و الثبور، فكل شيء وصل إليه الناس من الحكم الدستوري هي سقوط وزارة و تأليف أخرى مكالها، و هي مثلها في نتائجها السيئة ونهجها الرديء.

فنرى كيف الرصافي يسيء الظن بالحكم الدستوري و ييأس من هذا الحكم و يسلك مسلك الإنتقاد و التهكم أمامه و هذا الحال ليس ما نراه في معروف الرصافي فقط، بل يعمّ في ذاك العصر أكثر الشعراء، هذا أنيس المقدسي بعد شرح ردود فعل الأدباء فيما يرتبط بالحكم الدستوري و فرحهم بسبب إعلانه يقول: «على أنه لم يظل

كذلك طويلاً، فلم تكد تمر سنة على إعلان الدستور حتى رأينا كثيراً من الفئات الشعرية مصطبغة باللون قائمة من الإشفاق والحذر... و من اسباب هذا التشاؤم خيبة الأمل في النظام الدستوري.... و لا شك في أن العثمانيين عموماً لم يكونوا على استعداد كاف للحياة الدستورية. و قد ظهر في تطبيقه نقائص لم يكونوا يتوقعونها مما أثار في النفوس إحساسات معكوسة ظهرت في الأدب بمظهر الخيبة و الفشل». (انيس المقدسي، ١٩٨٨م، ص ٨٥-٨٤)

٢-١-٢- الرصافي و مؤثره باري:

من المظاهر التي عارضها الرصافي و هجم عليها في أشعاره إنعقاد مؤتمر في بيروت و بعدها في باري من قبل الأصلاحيين. فالرصافي في بادئ الأمر دعم من حركتهم الإصلاحية في إطار الدولة العثمانية و أيدهم في أشعاره ولكن بعد إطلاعه على لائحته و ما رأى فيها من فساد أنشد قصيدة تحت عنوان «ما هكذا» (الرصافي، ١٩٨٦م، ديوان ٢، ص ٢٦٣) و فيها ينفذ رأي الإصلاحيين و يهجم عليهم:

أَصْبَحْتُ أَوْسَعُهُمْ لَوْمًا وَ ثَرِيًّا	لَمَّا امْتَطَوْا غَارِبَ الْإِفْرَاطِ مَرْكُوبًا
وَ اَلْهَبْتُ مِنْهُمْ الْأَهْوَاءَ جَارِيَةً	إِلَى التَّفَرُّقِ الْهَوْبَاءِ فَأَلْهَوْبًا
فَأَرْهَجُوا الشَّرَّ حَتَّى إِنَّ هَبْوَهُ	مُدَّتْ سُرَادِقُهَا فِي اللُّوحِ مَضْرُوبًا
رَامُوا الصَّلَاحَ وَ قَدْ جَاءُوا بِلَاثِحَةٍ	خَرَقَاءَ تَتْرَكُ شَمْلَ الشَّعْبِ مَشْعُوبًا
عَدَّوْا النَّصَارَى وَ عَدَّوْا الْمُسْلِمِينَ هَا	وَ نَحْنُ نَعْهَدُهُمْ طُرّاً أَعَارِيَا

فالشاعر يصبح من لائمي الإصلاحيين و أعماهم بعد أن كان من مؤيديهم و ما هذا إلا بعد ركوبهم مركب الإفراط و مشيهم في طريق التفريق. فالرصافي يقول إن الإصلاحيين قصدوا الإصلاح ولكن ضلوا الطريق و جاءوا بلاثحة لا تُشَمُّ منها رائحة

الإصلاح و كل ما جاءوا به يدعو إلى الخلاف و التفرقة و منها التمييز بين المسلمين و النصارى من العرب، فهو يشكو من الإصلاحيين مردفاً قوله:

مَنْ مُبْلَغُ الْقَوْمِ أَنَّ الْمُصْلِحِينَ لَهُمْ	أَمْسُوا كَمَنْ لَيْسَ الْجَلْبَابُ مَقْلُوبَا
مَا ضَرَّهُمْ لَوْ نَحْوَا فِي الْأَمْرِ جَامِعَةً	نُفْيَ الْكِنَائِسَ عَنْهَا وَ الْمَحَارِبَا
لَكِنَّهُمْ أُمَّةٌ تَأْبَى مَشَارِبُهُمْ	إِلَّا التَّعَصُّبَ لِلْأَدْيَانِ مَشْرُوبَا
قَدْ حَاوَلُوا الْحَقَّ وَ اشْتَطَوْا بِمَطْلَبِهِ	حَتَّى بَدَا وَجْهَهُ كَاللَّيْلِ غَرِيبَا
قَامُوا يُرِيدُونَ إِصْلَاحًا فُقِمَتْ لَهُمْ	اسْتَطَقَّ الشَّعْرَ تَاهِيلاً وَ تَرْحِيبَا
حَتَّى إِذَا مَحْضَرُوا آرَاءَهُمْ ظَهَرَتْ	لِلنَّاسِ زُبْدُتُهَا ثَائِيًا وَ تَخْيِيبَا

فهو يعتقد بأن للمصلحين هدفا شريفا و نبيلاً وهو الإصلاح، ولكنهم عدلوا عن الحق و صاروا كالذي يلبس جلبابه مقلوبا، يعني دعوا إلى شيء و مشوا في طريق آخر و من أخطائهم في هذا الصدد التفريق بين المسلمين و المسيحيين و يربط الشاعر هذا بتعصبهم في الدين و يقول إنهم قاموا للإصلاح ولكن حين أظهروا آرائهم للناس ما رأوا فيه إلا الفساد و الضعف، ثم يشير الشاعر إلى فساد مؤتمر باريس و يعلن مخالفته له و يقول:

إِنِّي لَأَبْصُرُ فِي بَسْمُوتِ قَائِبَةٍ	لِلشَّيْرِ مَوْشِكَةً أَنْ تَخْرُجَ الْقُوبَا
أَوْ أَكْرَهَ مِنْ "دِينَامِيْت" إِذَا أَنْفَجَرَتْ	فَنَارُهَا تَنْسِفُ الشَّجَبَانَ وَ الشَّيْبَا
وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْاسًا وَاصِلِينَ بِهَا	وَهُمْ بِيَارِيزَ مِلْبارُودِ أَنْبُوبَا
وَآخَرِينَ بِمَصْرٍ يَطْلُبُونَ لَهَا	تَفَرِّقَعَا يُجْعَلُ الْمَعْمُورَ مَخْرُوبَا

فدنب الإصلاحيين هو إنعقاد مؤتمراتهم في بلد أوربي يطمع في البلدان العربية و خاصة سوريا، فالرصافي يعارض الإصلاحيين ولكن ليس بسبب سعيهم في الإصلاح بل بسبب عقدتهم مؤتمرا في باريس و هي عاصمة بلد تعارض الدولة العثمانية بكل إمكاناتها، ثم يحذر قومه من أن يكونوا من متبعي هذه الجماعة و يقول:

يا أيها الناس لا يغررركم نفرٌ ضحوا بباريزٍ إفسادا و تشعيبا
جاءت رسائلهم بالشّرِ مغربة تفتن في المكرِ أسلوبا فأسلوبا
فطالعوهن بالأيدي مُطالعة تسطو عليهن تمزيقا و تأريبا

فهو يريد من قومه الوعي و النباهة و عدم الإغترار بأقوال الإصلاحيين في باريس، و الرصافي بعد إنشاد هذه القصيدة «قد آتتهم يومئذ بمشايعة الأتراك تزلفا، أو إته قد أخذ بالدعايات التركية، فكان في حكمه متسرعاً، و الذي يلوح لنا أن هذا الشاعر العربي لم يكن الوحيد في حذره من الحركة الإصلاحية و حمايته على الجامعة العثمانية، فقد ظهر في أنحاء مختلفة من البلاد العربية ما يشير إلى حذر المخلصين و خشيتهم من إعتداد أيدي الإستعمار و تصديق الجامعة العثمانية». (انيس المقدسي، ١٩٨٨ م، ص ١٣٧)

٢-١ - الرصافي و حكومة الإنتداب:

هذه مواضع الرصافي حيال الوقائع التي كانت داخل إطار الحكومة العثمانية، ولكن الأمر ما بقي هكذا، بل مع بدء الحرب العالمية الأولى تسدهورت الأوضاع و تطورت بحيث نرى قيام العرب بقيادة شريف حسين ضد الأتراك و إهيار الدولة العثمانية. فالرصافي في هذه الحرب يقف ضد المستعمرين الغربيين و يدعو إلى حماية العثمانيين و يعارض بعد إهيار الحكومة المركزية المحتلين الاجانب و كذا الحكومة

الوطنية السورية التي تعرف باسم «حكومة الإنتداب» و الوزراء الذين لا يعلمون شيئا إلاّ إتباع خطط الأجانب، فيقول في قصيدته « حكومة الإنتداب » (الرصافي، ١٩٨٦م، ديوان ٢، ص ٤٠٣):

هذي حُكومتنا و كُلّ شُمُوحِها كِذْبٌ، و كُلّ صَنِيعِها مُتْكَلِّفُ
غَشَّتْ مَظَاهِرُها و مُورَةٌ وَجْهُها فَجَمِيعُ ما فِيها بَهَارُجُ زَيْفُ
وَجْهَانِ فِيها باطِنٌ مُتَسَتِّرٌ لِلأُجْنَبِيِّ وَ ظَاهِرٌ مُتْكَشَّفُ
و الباطِنُ الْمَسْتَوْرُ فِيهِ تَحْكَمُ و الظاهرُ الْمَكْشُوفُ فِيهِ تَصْلَفُ

فالشاعر يبين لمخاطبيه آراءه في هذه الحكومة، فيهجم عليها و يشير إلى الإنتداب البريطاني و يقول أنّ حكومتنا في الظاهر حكومة وطنية ولكن في الباطن تحت سيطرة الأجانب، ثم يردف قوله:

عَلِمَ و دَسْتَوْرٌ و مَجْلِسُ أُمّةٍ كُلٌّ عَنِ الْمَعْنَى الصَّحِيحِ مُحَرَّفُ
أَسْمَاءُ لَيْسَ لَنَا سِوَى الظَّاهِرِ أَمَّا مَعَانِيهَا فَلَيْسَتْ تُعْرَفُ
مَنْ يَقْرَأ الدَّسْتَوْرَ يَعْلَمُ أَنَّهُ وَفَقاً لَصَكِّ الْإِنْتِدَابِ مُصَنَّفُ
مَنْ يَنْظُرُ الْعِلْمَ الْمُفْرَفَ يَلْقَاهُ فِي عِزِّ غَيْرِ بَنِي الْبِلَادِ يُرْفَرُ
مَنْ يَأْتِ مَجْلِسَنَا يُصَدِّقُ أَنَّهُ لِمُرَادِ غَيْرِ التَّاسِخِيِّنَ مُؤَلَّفُ
مَنْ يَأْتِ مُطَرِّدَ الْوِزَارَةِ يُلْفِها بِقَيْودِ أَهْلِ الْإِسْتِشَارَةِ تَرْسُفُ

فالحكم الوطني حكم ظاهري صوري، والعلم و الدستور و مجلس الأمة ليس سوى أسماء خلافة ظاهرها جميل ولكن باطنها فاسد، فالدستور وضع لمصالح الإستعمار و علم البلاد يرفرف لعز غير مواطني البلاد و المجلس ايضا صوري و ليست للوزراء

ارادة في إدارة شئون البلاد. فيما أن الحكم والحكومة من صنع الإستعمار فلا عجب أن يغضب الرصافي على الحكومة:

أفْهَكَذَا تَبْقَى الْحُكُومَةُ عِنْدَنَا كُلُّهَا تُمَوِّهُ لِلسُّورَى وَ تَزْحَرْفُ
كَثُرَتْ ذَوَائِرُهَا وَ قَلَّ فِعَالُهَا كَالطَّبْلِ يَكْبُرُو هُوَ خَالِ أَحْوَفُ
كَمْ سَاءَنَا مِنْهَا وَ مِنْ وَزَرَاتِهَا عَمَلٌ بِمَنْفَعَةِ الْمَوَاطِنِ مُجْحَفُ

يفصف الرصافي ميزات هذه الحكومة السورية بأنها كالطبل الأحوف و بعد ذلك يدعو الشعب العراقي إلى الثورة ضد هذا الحكم فيقول:

إِنْ دَامَ هَذَا فِي الْبِلَادِ فَإِنَّهُ بِدَوَامِهِ لَسَيُوفِنَا مُسْتَرْعِفُ
لَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ يَطُولُ عَلَيْكُمْ فِيهِ الْحِسَابُ كَمَا يَطُولُ الْمَوْقِفُ
وَ إِذَا دَعَا دَاعِي الْبِلَادِ إِلَى الْوَعَى أَنْظُرْ أَنْ هُنَاكَ مَنْ يَتَحَلَّفُ
كَمْ مِنْ نَوَاصٍ لِلْعَدَا سَنَجُرُّهَا وَ لَحَى بِأَيْدِي الثَّائِرِينَ سَتُنْتَفُ

فالرصافي يرى حكومة الملك و ما فيها من الضعف و الإستنجاد بالأجانب، ففي حفلة تتويج الملك مثلاً يرى كيف يتأخر المندوب السامي الإنجليزي عن عمد بسبب أن يكون الملك في إنتظاره لا أن يكون هو في إنتظار الملك، و يرى كيف يجلس المندوب السامي عن يمين الملك و القائد العام للجيش البريطاني عن شماله، «فتشاءم الرصافي من ذلك- و من حقه أن يتشاءم- و أحس بان العراق الذي كان تخلص من الحكم الإنكليزي المباشر، سيقع من جديد في مصير أشد قسوة و أفظع أمراً، ذلك بعد أن يتولى الأمر فيه ملك، ولكن ليس له من الملك إلّا الاسم، و بعد أن يتولى الأمر فيه حكام من ابنائه لا يستطيعون أن يأتوا بعمل ما دون رغبة سادتهم الإنكليز و مشيئتهم. و من البديهي بعد ذلك كله أن يندد الرصافي بالوضع الجديد، و يسخر من الملك و

يهزأ بالوزارة و يدعو إلى الثورة على الإنكليز، و القضاء على من يسير في ركابهم،
و يأتمر بأوامرهم، ممن باعوا وطنه و قومه في سبيل تحقيق منافعهم الشخصية و مآرهم
الذاتية». (Comwww.arabrenewal).

و في قصيدة أخرى بعنوان «غادة الإنتداب» (الرصافي، ١٩٨٦م، ديوان ٢، ص ٣٧٦)
يشبه حكومة الإنتداب بفتاة جميلة المظهر ولكن كريهة الباطن للنظر إليها :

في الكرخ من بغداد مَرَّتْ بنا	يوماً فتاة من ذوات الحجاب
لبثها موقرة بالخلي	و كفها مشبعة بالخضاب
تختلب الناس بأوضاعها	و كل ما يصدر منها خلاب
قد غولط الناس بأثوابها	في أنها من معمل الإنتخاب
وهي لعمري دون ماريكة	منسوجة من منسج الإغتصاب..
قال جليسي يوم مَرَّتْ بنا	من هذه الغادة ذات الحجاب؟
قلت له تلسك لأوطاننا	حكومة جاذها الإنتداب
تحسبها حسناء من زيتها	و ما سوى جنبول تحت الثياب
ظاهرها فيه لنا رحمة	و الويل في باطنها و العذاب

فاستطاع الرصافي أن يبين لنا في قصائده زيف الإنتخابات والحكومات
الصورية، فهو يسخر من هذه الحكومة و ما فيها من الفساد و اللغو و...» و نمضي مع
الرصافي في سخطه و ثورته و إستنكاره للوضع في العراق حتى نقف و إياه عند عام
١٩٢٩م ، حيث وصل إلى بغداد آنذاك المستر كراين- الثري الأمريكي المعروف- و
قد أقيمت له حفلة تكريم دعي إليها الرصافي و القى قصيدة هناك ذكر فيها أن الحكومة
العراقية تنصرف في الظاهر كأنها حكومة ولكن في الواقع مجلس دمي بأيدي الإنكليز و

تحقق خططهم و مآرهم الإستعمارية» (www.arabrenewal.com) فهو بقصيدة « يا
حُب الشرق » و فيها يقول الشاعر مخاطباً المستر كراين:

و إذا تسأل عَمَّا	هو في بَغْدَادَ كائِنُ
فَهُوَ حُكْمٌ مَشْرِقِي الضَّر	رِعِ غَرِبِي الْمَلابِنُ
وطني الإِسْمَ لَكِن	إنكليزي الشَّنَاشِنُ
فيه للإِعْزَازِ مَنْ	لندنَ بِالْأَمْرِ مَكَامِنُ
هو ذُو وَجْهَيْنِ وَجَّةٌ	ظَاهِرٌ يَتَّبِعُ بَاطِنُ
قَدْ مَلَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ	نَحْنُ فِي الظَّاهِرِ لَكِنُ
نَحْنُ فِي الْبَاطِنِ لَا	نَمْلِكُ تَحْرِيكَ لِسَاكِنُ
أَفْهَذَا جَائِزٌ فِي الْـ	غَرْبٍ يَا مُسْتَرِ كَرَايِنُ؟

(الرصافي، ١٩٨٦م، ديوان، ص ٣٤٤)

١-٢-١- الرصافي و الوزراء:

إنَّ الرصافي في قصيدته « الوزارة المذنبه » يتطرق إلى موضوع الوزارة و
الوزراء في هذه الحكومة، ففي رأيه أنَّ الوزراء في عصره من أضعف الناس، فلا إرادة
لهم في تعيين مصير بلدهم و لا فهم لهم ولا نباهة، فيقول:

دَارَ ذَا الدَّهْرِ مَدَارَهُ	فَرَأَى النَّاسَ إِزْوَارَهُ.
إِنَّ دِيكَ الدَّهْرِ قَدْ بَا	ضُ بِبَغْدَادَ وَزَارَهُ
شَأْنُهَا شَأْنٌ عَجِيبٌ	قَصَّرَتْ عَنْهُ الْعِبَارَهُ
هِيَ لِلْجَاهِلِ عِزٌّ	و لِدِي الْعَلِمِ حِقَارَهُ
مَلِكُ الْبَدْوِ بِهَا الْأَمْرُ	رَعَى أَهْلَ الْحَضَارَهُ

حَبِيتَ لِلْوَطَنِيِّ الْحُرِّ	أَنْ يَهْجُرَ دَارَهُ
بِيعَ لِلْأَطْمَاعِ فِيهَا	حَقَّكُمْ بَيْعَ الْخَسَارَةِ
فَكَانَ الْحُكْمَ وَالْعَدْلَ	لَهَا قِطٌّ وَفَارَهُ
كَمْ وَزِيرٍ هُوَ كَالْوَزَرِ	رَ عَلَى ظَهْرِ الْوِزَارَةِ
و وَزِيرٍ مُلْحَقٍ كَالذِّقِّ	يَلِ فِي عَجْرِ الْحِمَارَةِ

(الرصافي، ١٩٨٦م، ديوان ٢، ص ٤٠٩)

و نرى في القصيدة صوراً فنية رائعة، فالشاعر يشبه الدهر بالديك و الوزارة ببيضة الديك، و الحكم يشبه القط و العدل فارة- كأن العدل و الحكم لا يجتمعان- و غير ذلك من الصور، «و قد بلغ الرصافي في هذه الصور مستوى فنيا رفيعا يحيل للقارئ معها أن الشاعر لم يترك في هذا المجال زيادة لمستزيد، و بخاصة حين يقارن الوزارة ببيضة الديك إمعانا في عجب من أمرها، ثم تشبيه الحكم و العدل بالقط و الفارة و جعله الوزير ذنبا للحمار» (عمر الدقاق، ١٩٨٥م، ص ٣٤٥)

يدعو الشاعر أبناء قومه بعد الأبيات المذكورة إلى الثورة و القيام على هذا التقشف و العدوان و يشير إلى خضوع الوزراء أمام الأجانب الذين يسيطرون عليهم و يأمرهم في أفعالهم قائلا:

يَا بَنِي الْأَوْطَانِ هُبُّوا	و انقضوا هذي الغرارة
أَدْرَكُوا الْحَقَّ فَقَدْ شَنَّتْ	تُ عَلَى الْحَقِّ الْإِغَارَةَ
لَا تَسْلُ عَنْهُ وَزِيرَ الْقَوِ	م وَاسْأَلْ مُسْتَشْشَارَهُ
فَوَزِيرُ الْقَوْمِ لَا يَعْمَلُ	مَلٌّ مِنْ غَيْرِ إِشَارَةٍ
هُوَ لَا يَمْلِكُ أَمْرًا	غَيْرَ كَرْسِيِّ الْوِزَارَةِ

يَأْخُذُ الرَّاتِبَ إِمَّا بَلَغَ الشَّهْرَ سِرَّارَهُ
ثُمَّ لَا يَعْرِفُ مِنْ بَعْدُ: خَرَابٌ أُمِّ عِمَارِهِ

فهو في هذه الأبيات يشير غير مباشر إلى الإنتداب البريطاني و يبين عدم قدرة الوزراء على التدخل في شؤون بلادهم، فعملهم ينحصر على أخذ الراتب في آخر الشهر و لا يهتمهم أعمضي البلاد إلى الخراب أم إلى العمارة، وفي «الوزارة عندنا» يشير مباشراً إلى إختيار الإنجليز الوزراء الذين يخطون في طريق سياستهم الإستعمارية:

إِنَّ الْوِزَارَةَ - لَا أبا لك - عِنْدَنَا ثَوْبٌ يَفْصَلُ فِي مَعَاهِدِ لِنْدَنَا
لَا يَرْتَدِيهِ سِوَى إِمْرِيءٍ أَضْحَى لَهُ طَبْعاً وَدَادَ الْإِنْكِلِيزِ وَ دِينَنَا

(الرصافي، ١٩٨٦، ديوان، ٢، ص ٥٠٤)

٢-٢-١ - الرصافي و المعاهدات:

من الأمور التي عالجها الرصافي في أشعاره، المعاهدات التي كانت بين العراق و الحكومات الإستعمارية، فالرصافي في بداية الثلاثينيات أصبح نائبا في المجلس النيابي العراقي « حيث كان نوري السعيد رئيسا للوزارة و قد إعترض الرصافي على توقيع المعاهدات التي قدمتها بريطانيا بواسطة نوري السعيد، و كشفت في كلماته في المجلس النيابي مخاطر تلك الإتفاقيات متسائلا: أية معاهدة هذه تقوم بين الطرفين أحدهما قوي محتل و الآخر ضعيف؟... و أية منافع سيحنيها العراق من جراء عقد تلك الإتفاقيات؟... » (www.arabrenewal.com).

فقد كان المستعمر نائم الملمس و لم يحاول إلاّ في ساعات اليأس أن يستفز مشاعر الشعب، خلافا لما كانت تتورط به فرنسا في سوريا من طيش. و ربما كان

معروف الرصافي و محمد مهدي الجواهري و جميل صدقي الزهاوي أبطال هذا الميدان،
و من ذلك قصيده للرصافي يقول فيها:

خلقتُم لنا من كلِّ عهدٍ مَمْرَهُ فإرداها إستقلالنا يتقيّد
إلى أن غدا إستقلالنا ضحكة الوري به ساخر كلِّ امرئ و مندّد
(عمر الدقاق، ١٩٨٥م، ص ٣٢٠ - ٢١)

هذان البيتان في قصيدة تحت عنوان « بين الإستقلال و الإنتداب » (الرصافي،
١٩٨٦م، ديوان ٢، ص ٤٢٠) و في قصيدة أخرى عنوانها « كيف نحن في العراق » (الرصافي،
١٩٨٦م، ديوان ٢، ص ٣٩٩) يشير إلى هذه المعاهدات الزائفة بين الإنجليز و العراق و يقول:

و ليسَ الإنكليزُ بِمُنْقِذينا و إن كَتَبَتْ لَنَا مِنْهُمْ عُهودُ
مَتَى شَفَقَ القَوِيُّ عَلَى ضَعِيفٍ و كيف يُعَاهِدُ الخِرْفَانُ سَيِّدُ
و لكنْ نَحْنُ فِي يَدِهِمُ أسارى و ما كَتَبُوهُ مِنْ عَهْدٍ قِوْدُ

و في قصيدة أخرى عنوانها «عند نشر المعاهدة» يشير إلى إحدى هذه المعاهدات
بين الإنكليز و العراق:

نُشِرُوا المِيعَادَةَ الَّتِي فِي طَيْهَا قِيدَ يُعَضُّ بِأَرْجُلِ الآمالِ
قَدْ أبلَعُونَا حَبَّةَ إِسْتِعْبَادِنَا لكنْ مُمَوَّهَةٌ بِالإِسْتِقْلَالِ
وَالْعَهْدُ بَيْنَ الإنكليزِ وَ بَيْنَنَا كَالْعَهْدِ بَيْنَ الشَّاةِ وَ الرَّبَالِ
مَنْ ذَا رَأَى ذَنْبَ الذَّنَابِ مُصَافِحَا بِنُودٍ حَمَلَا مِنْ الأَحْمَالِ
لَكُنْهُمْ خَافُوا إِنْكَالَ قُيُودِنَا فَاسْتَوْتَقُوا مِنْهُمْ بِالأَقْفَالِ
كَتَبُوا لَنَا تِلْكَ العُهودَ وَ إِمَّا وَضَعُوا بِهَا قِفْلًا عَلَى الأغْلالِ
شَلَّتْ أَكْفُ مَوَاقِعِهَا إِيَّاهُمْ حَلَّتْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ الأَحْيَالِ

(ديوان، ١٩٨٦م، ج ٢، ص ٥٢٣)

فالشاعر يعتقد بأن لهذه المعاهدة ظاهراً جليلاً يشير إلى إستقلال العراق و يسدعو اليه ولكن في الباطن تسوق البلاد إلى الإستعباد و الخراب، و يشبه الوعد بين الإنكليز و العراق بالوعد بين الشاة و الرئبال و لا محالة أن الشاة يكون مغبوناً في هذه المساومة، ثم يشير إلى ماهية هذه المعاهدات، فما هذه إلاّ لجعل القيود و السلاسل على رقبة الشعب العراقي، ثم يهدد الحكوميين بأن الأحوال ما تبقي على هذا و لا محالة يجيء يوم تنفك فيه هذه القيود و في ذلك اليوم يُعلم من المغبون الحقيقي.

و في قصيدة أخرى عنوانها «ميتة البطل الأكبر» يشير إلى زيف هذه المعاهدات و يقول مخاطباً الإنكليز:

في كل يوم لنا معكم مُعاهدةٌ
تزدادُ منها على أوطاننا خطراً
جفّت بها سِرحةُ إستقلالنا عطشاً
حتى إذا ما مَسَسنا عودَها انكسرا
أما مواعيدكم فهي التي إنكشفتْ
عن مَينٍ مَن مانَ أو عن غدٍ مَن غَدرا
(الرصافي، ١٩٨٦م، ديوان ٢، ص ٦٧)

٣-١- الرصافي و الإنجليز:

من الموضوعات التي عالجها الشاعر في أشعاره السياسية و يتطرق إليها هو الإنجليز و ما يرى فيهم من الخدع و الدسائس و...، فرأى الشاعر أن على عاتقه تنبيه الشعب أمام هذا العدو الغاشم، فأنشد عدة قصائد في هذا الصدد، منها قصيدة «يوم الفلوجة» (الرصافي، ١٩٨٦م، ديوان ٢، ص ٤١٢)، يقول أحمد محمد إبراهيم في مقال له حول سبب إنشاد القصيدة: «فأثناء الحرب العالمية الثانية قبل حوالي ٦٥ عاماً و بالتحديد في عام ١٩٤١م، و بينما بريطانيا قد فرضت إنتدابها على العراق، بعد أن إحتلته قواتها في أعقاب الحرب العالمية الأولى و فصلته عن الدولة العثمانية، حاولت قوات البريطاني

دخول الفلوجة ولتأديب المقاومة ضد المحتل، فواجهت دفاعا مستبسلا و شرسا من أهلها، فلجأت إلى أبناء الأقليات من الآشور و اليهود، و سلطتهم لإيذاء الأهالي. و قد سجل شاعر العراق "معروف الرصافي" هذه الأحداث مصورا كبرياء و عزّة أهل الفلوجة في قصيدة بعنوان: «يوم الفلوجة». (www.lahaonline.com):

آيها الإنكليزُ لن نتناسى بغيكم في مساكنِ الفلوجِه
ذاك بغيٌ لَن يشفيَ اللهُ إلّا بالمواضي جريحه و شجيحه

فالرصافي يهدد المستعمرين بأنّ بغيهم و عدوانهم يقي في ذاكرة أهالي الفلوجة و هم لا ينسونه أبدا و يهددهم بأن يردّ الناس على هذا البغي بالسيوف الماضية و بهذا وحده يشفي الجريح و الشحيج الذي كان العدو الغاصب مسببه، ثم يواصل قوله:

حلّها جيشُكم يُريدُ إنتقاماً و هو مُغرٍ بالساكنين علوجِه
يومَ عاثتْ ذنابُ آشورَ فيها عينةٌ تحملُ الشنار سميحه
فاستهنتُمُ المسلمينَ تفاهاً و اتخذتم من اليهود وليّجه
و أدركتم فيها على العزلِ كأساً من دماء بالغدرِ كائناتٍ مزيجِه
و استباحتم أموالها و قطعتم بين أهل الديارِ كلّ وشيجه

الشاعر هنا يصور لنا الجيش المحتل المغرور، فهو يعيث في الأرض فسادا و يسمح لأبناء آشور و اليهود بأن يؤذوا المسلمين و في هذا العمل إستهانة للمسلمين و مع أنّهم إستنجدوا اليهود و الرجال الضخام الجثث من الكفار للغلبة على المسلمين مع هذا لا يتحرّون إلّا على العزل، فيسفكون دماءهم غدرا و يستبيحون أموالهم، ثم يسأل:

أفهذا تمدنٌ و علاءٌ شعبُكم يدّعي اليه عروجه
أم سكرتم لما غلبتم بحربٍ لم تكن في إنبعاثها بنّصيجه

يخاطب الشاعر الإنكليز و يسألهم أهذا القتال الذي أنتم مسببه في الفلوجة هو التمدن الذي أنتم تدعونه، ثم يردف قوله بأن هذه الحرب اثبتت أن كل ما يدعيه الغرب من التمدن و الثقافة ليس إلا أضغاث أحلام، ثم يدعو في آخر القصيدة لوطنه و يفتخر به و يتمنى له و لشعبه السعادة و يسلم على أهل الفلوجة و على بسالتهم و شجاعتهم.

٤-١- الرصافي و الشرق:

إن للرصافي نزعة شرقية بمعنى أنه دافع في أشعاره من الشرق و الشرقيين أمام الغرب و مطامعه و آماله المكروهة و براجمه الاستعمارية في الشرق فبرز هذه النزعة في القصائد التي هجم فيها على الغرب و دافع عن أمته الشرقية و أنهضها على الجهاد أمام الغرب و مطالباتها النكراء في الشرق.

للرصافي قصيدة عنوانها «الفيل و الحمل»، فيها نرى نزعته الشرقية بوضوح؛ فهو يربط بين تحرر العراق من أيدي الاستعمار و بين تحرر الهند، و «يرمز فيها إلى الهند و العراق بالفيل المكبل و الحمل، كما يرمز للمحتل الإنكليزي عدوها المشترك بالذئب فيقول:

تَحَيَّلْتُ فَيْلًا بِالْحَدِيدِ مُكَبَّلًا	إِذَا مَا سَمِعْتُ الْهِنْدَ فِي قَوْلِ قَائِلٍ
لَهْزًا بِهَا شَمَّ الْجِبَالِ وَ قَلَقَلَا	فَلَوْ قَامَ هَذَا الْفَيْلُ وَ اسْتَجَمَعَ الْقَوَى
غَدًا مِنْ وَرَاءِ الْفَيْلِ لِلذَّئْبِ مَا كَلَا	لَنَا حَمَلٌ وَ هُوَ الْعِرَاقُ نُطْقُهُ
نَحُونَا وَ إِلَّا أَصْبَحَ الْأَمْرُ مُعْضَلَا	فَإِنْ يَنْجُ هَذَا الْفَيْلُ مِنْ قَيْدِ أَسْرِهِ

(الرصافي، ١٩٨٦ م، ج ٢، ص ٣٧٩)

فمن خلال هذه الأبيات تتضح الآلام المشتركة التي آخت بين البلدين الشرقيين و ربطت بينهما في مصير واحد، و الرصافي لا يرجو خلاصا للعراق إلا بعد تحرر الهند و هكذا كان». (عمر الدقاي، ١٩٨٥م، ص ١٠١-١٠٠)

للرصافي في هذا الصدد قصائد أخرى نخص بالذكر منها: «ميتة البطل الأكبر» (الرصافي، ١٩٨٦م، ديوان ٢، ص ٦٣)، «يا محب الشرق» (الرصافي، ١٩٨٦م، ديوان ٢، ص ٣٤٤) و «ولسون بين القول و الفعل» (الرصافي، ١٩٨٦م، ديوان ٢، ص ٣٣٧).

إنّ ولسون "الرئيس الأمريكي" أعلن من مبادئ غايتها إنقاذ الأمم المستضعفة و إرتكزت على تقرير مصيرهم على أيديهم «فقد حسب فيها العرب الذين أغرقهم طوفان الإستعمار منجاة لهم بعد أن طلعت عليهم بوجهها النبيل، حتى إنّ عددا غير قليل من الشعراء إنتشوا بها، فلم يترددوا في مدح إمريكا و سياستها و رئيسها... و سرعان ما تبين للعرب أنّ ما بدا لهم ماء، ليس إلاّ سرايا. و لذلك كان ردّ الفعل شديدا لدى الشعراء، عبروا عنه بمראה إثر تلقي شعورهم تلك الضربة الجديدة من حيث لا يحتسبون». (عمر الدقاي، ١٩٨٥م، ص ٣٠٧)

إنّ الشاعر في قصيدته "ولسون بين القول و الفعل" يعبر عن خيبة أمل العراقيين و قطع أملهم عن ولسون بسبب تراجعهم عن مبادئه الشهيرة في السلام فيقول:

قَالَ قَوْلًا بِهِ إِسْتَحَقَّ إِحْتِرَامًا وَ تَعَدَّاهُ فَاسْتَحَقَّ مَلَامًا
كَانَ مِنْهُ الْمَقَالُ نَوْرًا فَلَمَّا حَانَ حِينَ الْفِعَالِ كَانَ ظِلَامًا

ثم يظهر نزعته الشرقية، فيخاطب المسلمين و يظهر لهم حقيقة الغرب:

إِيَّهَا الْمُسْلِمُونَ لَسْتُمْ مِنَ الْقَر بِ إِحَالِ تَسْتَوْجِبُونَ إِحْتِرَامًا
إِنَّمَا أَنْتُمْ لَدَى الْقَرِبِ قَوْمٌ خَلَقُوا عَنْ سِوَى الشُّرُورِ نِيَامًا

فَإِذَا مَا وَسِعَتِ النَّاسَ حِلْمًا عَدَّه الْغَرْبُ شِرَّةً وَ غُرَامَا
وَ إِذَا مَا مَلَأَتْهُمُ الْأَرْضَ عَسَدًا عَدَّه جُورًا ، أَوْ مَفْخَرًا عُدَّ دَامَا
رَحِمَ اللَّهُ أُمَّةً أَصْبَحَ الْغَرْبُ بُ يَرَى كُلَّ ذَنْبِهَا الْإِسْلَامَا

هذا معروف الرصافي في نزعتة الإلتزامية السياسية، فهو يدافع في أشعاره عن المجتمع الإسلامي و الأمة العربية و يهجم على أعدائهم الغربيين، و لا يتوقف عند هذا الحد، بل نراه يدافع عن الشرق كله أمام مطامع الغرب و خططهم الإستعمارية ، فيفرح بسبب إنتصارات الشرقيين، سواء كان هذا الإنتصار من قبل العرب أو الترك المسلمين أو من قبل اليابانيين، و ما يريد من إنشاد أشعاره إلا سعادة وطنه و أبناء مجتمعه و سعادة الشرق و الشرقيين أمام الغرب المستعمر.

نتيجة البحث:

أن الأدب كمرآة تعكس جميع زوايا الحياة البشرية. والشاعر العربي منذ العصور كان لسان قومه الصارم يدافع عن حياضه و الشاعر العربي المعاصر لا ينسى مهمته البشرية و التاريخية. فمعروف الرصافي لا ينسى الشعب العراقي الذي عانى تحت الحكم العثماني و الانتداب الانكليزي او الحكومات المرتزقة و الوزراء الربيين والاتفاقيات الجائدة فيثيرهم ناهضين ضد هذه الاضطهادات بادبه و باشعاره النارية داعياً إلى الثورة و تحرير بلادهم.

المصادر و المراجع:

- ١- الانترنت: www.arabrenewal.com
- www.lahaonline.com
- ٢- بطي ، رفائيل، الأدب العصري في العراق العربي ، ط١، القاهرة ، المطبعة السلفية، ١٩٢٣م.
- ٣- البقاعي ، شفيق ، أدب عصر النهضة ، ط١، بيروت، دارالعلم للملايين ، ١٩٩٠م.
- ٤- بورحاقة، أحمد، الإلتزام في الشعر العربي، ط١، بيروت، دارالعلم للملايين، ١٩٧٩م.
- ٥- الدقاق، عمر، الإتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، د.ط، بيروت، دار الشرق العربي، ١٩٨٥م.
- ٦- الرصافي، معروف، ديوان، د.ط، بيروت ، دار العودة، ١٩٨٦م.
- ٧- الفاخوري، حنا، الموجز في الأدب العربي وتاريخه «الأدب العربي القديم» ط٨، بيروت، دار الجيل، ١٩٩١م.
- ٨- المقدسي، أنيس، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ط٨ ، بيروت ، دار العلم للملايين، ١٩٩٨م.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

قضية الترادف بين الإثبات و الإنكار*

الدكتور حامد صدقي**

طيه سيفي***

خلاصة:

إن ظاهرة الترادف تُعدُّ من الظواهر اللغوية المهمة ؛ لما في علاقة الألفاظ بالمعاني من أثرٍ في التّواصل بين الناس ، كما هي من الظواهر اللغوية الشائعة في معظم اللغات الحيّة ، إن لم نقل في جميعها ، و إنّنا لو فتحنا معجماً من المعاجم العربية أو غير العربية قديماً أو حديثاً لوجدنا فيه الألفاظ المترادفة ، و العربية من اللغات التي نشأت في ظلّها هذه الظاهرة اللغوية بل تميّزت عن اللغات الأخرى بوجود هذه الظاهرة حتى كأنّها صارت سِمَةً للعربية لاتغادرها.

غير أن موقف الباحثين واللغويين العرب حيال هذه الظاهرة وحديثهم عن طبيعتها وحقيقة وجودها أو عدمها كان ولا يزال خلافاً كما أن الكتب التي تحتوي على هذه الألفاظ تنقصها المنهجية ويعوزها التنظيم . و هذا ما جعل هذه الألفاظ المترادفة قضية لغوية جذيرة بالدراسة . وهذا البحث يعالج القضية من زوايا مختلفة : لغوية و إصطلاحية و معالجة التطور التاريخي لمفهوم الترادف معالجة تعتمد الفحص و التحليل ، إضافة الى مناقشة آراء الباحثين و اللغويين القدماء و المحدثين حول وجود الترادف او عدمه و أسباب وقوعه و في النهاية آثار الترادف الإيجابية و السلبية .

الكلمات الرئيسية : اللغة العربية ، الترادف، الرّدّ و الانكار.

* تاريخ الوصول: ١٥/٤/٨٥ تاريخ القبول: ٢٠/٦/٨٥

** استاذ مشارك في جامعة « تربت معلم » بطهران

*** ماجستير في اللغة العربية و آدابها

مقدمة:

إن معنى الترادف عند أصحاب المعاجم العربية القديمة لا يخرج عن معنى التابع، ترادف الشيء أي تبع بعضه بعضاً، و الردف يعني المرتدِف، و هو الذي يركب خلف الراكب. (الفراهيدي ١٤١٠م، ص ١١٠ - احمد بن فارس، ١٩٩٩م، ص ٩٨ - الجوهري، ١٩٨٥م، ص ٨٢ - الإصفيهانى، د.ت، ص ١١٢ - ابن منظور، ١٩٩٢م، ص ١٤٣)

أما حينما نبحث عن المعنى الإصطلاحي للترادف فلا نجد اتفاقاً تاماً بين العلماء و الدارسين القدامى والمحدثين على تعريف إصطلاحي واحد له عندهم؛ لاختلافهم في هذه الظاهرة و لكن بغضّ النظر عن الاختلافات الموجودة بين الدارسين و العلماء فإننا نميل الى إختيار تعريف الإمام فخرالدين الرازي الذي نقله السيوطي و هو: « توالي الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد بإعتبار واحد». (سيوطي، د.ت، ج ١، ص ٤٠٢) ذلك أن التعاريف التي ذكرها اللغويون و الباحثون الآخرون قديماً وحديثاً ترتبط به و يبدو هذا التعريف جامعاً لها من حيث المضمون. جدير بالذكر هنا أن بعض اللغويين و الباحثين حينما ذكروا تعريفاً للترادف فطنوا الى العلاقة الموجودة بين المعنى اللغوي و الإصطلاحي للترادف. منهم مرتضى الزبيدي إذ يقول: « هو أن تكون لشيء واحد أسماء و هي مولدة و مشتقة من تراكب الأشياء » (الزبيدي، د.ت، ج ١، مادة (ردف)).

و منهم ايضاً الجرجاني قائلاً: « المترادف ما كان معناه واحداً و أسماؤه كثيرة، و هو ضدّ المشترك ، أحداً من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف آخر، كأن المعنى مركوب و اللفظان راكبان عليه كاللثيث والأسد ». (الجرجاني، ١٩٨٥م، مادة (ردف))

من هنا يبدو لنا أن أصحاب المعاجم القديمة لم يستعملوا الترادف بمفهوم جديد — وهو توالي الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد — بل إن هذا المفهوم الجديد مولد ، كما صرح به الفيروزآبادي حيث يقول : « المترادف أن تكون لشيء واحد أسماء و هي مولدة » . (فيروزآبادي، ١٣٧١ق، مادة (ردف)) و مشتقة من تراكب الأشياء « (الزبيدي، د.ت، ج١، مادة (ردف)) .

التطور التاريخي لمفهوم الترادف :

الجدير بالذكر هنا ، أن الكلام عند أغلب علماء العربية المتقدمين حول ما يسمى الآن بالمترادف ، يدخل تحت عنوان علاقة اللفظ بالمعنى من حيث الإتفاق والاختلاف . (عمد الشايع، ١٩٩٣م، ص٢٧)

ربما كان سيبويه (ت ١٨٠ هـ) أول من أشار الى ظاهرة الترادف في الكلام حين قسّم علاقة الألفاظ بالمعاني الى ثلاثة أقسام ، حيث قال : « إعلم أن من كلامهم إختلاف اللفظين لإختلاف المعنيين ، وإختلاف اللفظين و المعنى واحد ، وإتفاق اللفظين وإختلاف المعنيين . فإختلاف اللفظين لإختلاف المعنيين نحو جلس و ذهب ، و إختلاف اللفظين و المعنى واحد نحو ذهب و إنطلق ، و إتفاق اللفظين و المعنى مختلف نحو قولك وجدت عليه من المرحدة ، و وجدت إذا أردت وجدان الضالة » . (سيبويه، ١٩٧٠م، ج١، ص٢٤)

وهذا التقسيم هو ما إشتهر أخيرا و عُرفَ بالتباين، و الترادف، و الإشتراك اللفظي، و تقسيمه هذا كان إشارة البدء ، لِمَنْ جاء بعده بالبحث في المتباين و المترادف و المشترك اللفظي .

وإشتهر هذا التقسيم بين العلماء الذين جاءوا بعده و جعلوا تقسيمه أساساً لتأليف كتبهم. منهم الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) الذي ألف كتاباً سماه ما إختلفت

ألفاظه وإتفقت معانيه ؛ وابوعبيد (ت ٢٢٤ هـ) سمي كتابه الأسماء المختلفة للشيء الواحد و ؛ المبرد (ت ٢٨٦ هـ) و كتابه ما إتفق لفظه و إختلف معناه من القرآن المجيد. و قد جعل المبرد هذا التقسيم - تقسيم سيبويه - من خصائص كلام العرب ومثل لإختلاف اللفظين و المعنى واحد بظننست وحسبت ، و قعدت و جلست ، و ذراع و ساعد ، و أنف و مرسن . (المبرد، ١٣٥٠ ق، ص ٢ - السيوطي، د.ت، ج ١، ص ٣٨٨)

كما نجد من الأقدمين من لم يقف عند ملاحظة هذه الظاهرة اللغوية و الإشارة إليها فحسب ، بل حاول أن يعلل وقوعها . كما يقول قطرب (ت ٢٠٦ هـ) : « إنما أوقعت العرب اللفظين على المعنى الواحد ليدلوا على أن الكلام واسع عندهم، و أن مذاهبه لاتضييق عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب ». (الأنباري، ١٩٨٦ م، ص ٨ - السيوطي، د.ت، ج ١، ص ٤٠٠ - ٤٠١)

و قد ذكر محمد بن قاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) الأضداد و المشترك اللفظي ثم قال بعد ذلك : « وأكثر كلامهم يأتي على ضربين آخرين : أحدهما أن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين المختلفين كقولك : الرجل و المرأة ، و الضرب الآخر أن يقع اللفظان المختلفان على المعنى الواحد؛ كقولك : البرّ و الحنطة، والعير و الحمار، و الذئب و السيد ، و جلس و قعد ، و ذهب و مضى ». (الأنباري، ١٩٨٦ م، ص ٦-٩ - السيوطي، د.ت، ج ١، ص ٣٩٩) أما ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) في كتابه الخصائص فقد تحدث عن هذا بعنوان « باب في إيراد المعنى المراد بغير اللفظ المعتاد ». (ابن جني، د.ت، ج ٢، ص ٣٢٠) ويرى أن هذا ونحوه هو الذي نقلته إلينا أشعار العرب و حكاياتهم بألفاظ مختلفة على معان متفقة ، و أن من أصول اللغة العربية اختلاف اللفظين و المعنى واحد . كما يتحدث عن أسباب تعدد الألفاظ مع إتحاد المعنى في باب يفرده لذلك بعنوان « باب الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدا ». (م. ن)

أما ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) فإنه يتحدث عما نسميه بالترادف تحت «باب الأسماء كيف تقع على المسميات» قائلاً: «يسمى الشيئان المختلفان بالإسمين المختلفين ، وذلك أكثر الكلام ، كرجل وفرس ، وتسمي [يعني العرب] الأشياء الكثيرة بالإسم الواحد ... وتسمي الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف و المهند و الحسام ... ». (ابن فارس، ١٩١٠م، ص٦٥) كما يذكر ذلك أيضاً عند حديثه عن أحناس الكلام في الاتفاق و الافتراق بقوله: «... و منه إختلاف اللفظ و إتفاق المعنى، كقولنا: سيف و عَضْبٌ ، و كَيْثٌ و أسد ، على مذهبا في أن كل واحد منهما فيه ما ليس في الآخر من معنى وفائدة» (ابن فارس، ١٩٩٢م، ص١٧١). و كذلك كان الأمر عند أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) حيث لم يستخدم لفظة الترادف في كتابه الفروق اللغوية و من ثم لم يتعرض لهذا الإصطلاح بتعريف دقيق(العسكري، د.ت، مقدمة المؤلف).

فيلاحظ ، أن العلماء السابقين لم يستخدموا مصطلح الترادف في مصنفاتهم، وإنما ظهر مصطلح الترادف أول مرة في القرن الرابع على يد علي بن عيسى الرّماني الذي جعله عنواناً صريحاً لكتابه « الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى » ذلك أننا لم نجد قبله من جعل الترادف بالصراحة في مصنفاته ، أما التصريح بذكر المصطلح فلا يدل على تمييز دقيق لمعناه عند الرماني ، لأنه يعطف المتقاربة المعنى على المترادفة كأنها شيء واحد ، بل إن الألفاظ التي ذكرها الرّماني و جعلها مترادفة تدل على غموض المصطلح في أذهان اللغويين القدامى حتى عصره ، إضافة إلى ذلك أنه لم يذكر تعريفاً للترادف ، بل ابتدأ كتابه بذكر أمثلة من الألفاظ المترادفة . (الرماني، ١٩٩٨م، ص٥٥) ثم جاء ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) فألف رسالة في المترادفات اختار لها عنواناً فلاذكر لمصطلح الترادف فيه و هو « الألفاظ المختلفة في المعاني المتولفة »

، مما يدل على أن الترادف لم ينضج عند اللغويين القدامى، وعبروا عنها بتسميات متقاربة تحذو حذو عبارة سيبويه في تقسيمه علاقة الألفاظ بالمعاني ، أما وضع القيود و الشروط لمفهوم الترادف و تمييزه مما قد يلتبس به فلا أثر لذلك عند اللغويين القدامى.

أما اللغويون المحدثون فمنهم من سار على نهج اللغويين القدامى في تعريف الترادف قائلاً: هو ما اختلف لفظه و اُتفق معناه ، أو هو إطلاق عدّة كلمات على مدلول واحد، أو هو ألفاظ متحدة المعنى، و قابلة التبادل فيما بينها في أي سياق . (مختار عمر ، ١٩٩٨ م ، ص ٢٢٧ - عبد التواب ، ١٩٩٩ م ، ص ٣٠٩ - محمد آل ياسين ، ١٩٨٠ م ، ص ٤١٤ - الإنطائي ، د.ت ، ص ٣٩٨ - والي ، ١٩٦٨ م ، ص ١٨٣ - سميج ابومغلي ، ١٩٨٧ م ، ص ١٧٣) و منهم محمد الطاهر بن عاشور: إذ يقول: «أختار أن أحدّد المترادف بأنه لفظ مفرد دال بالوضع على معنى ، قد دلّ عليه بالوضع لفظ آخر مفرد يخالفه في بعض حروفه الموضوع عليها بحيث تنطق به قبائل العرب كلها إذا شاءت ، أو ألفاظ مفردة كذلك ، بشرط استقلال تلك المفردات في الاستعمال و في الدلالة». (المنجد محمد نور الدين، ٢٠٠١ م، ص ٣٤ - نقلاً عن محمد طاهر بن عاشور ، مجلة مجمع القاهرة ، ج ٤، ص ٢٤١-٢٦٨) أما محمد المنجد فقد عرض لنا تعريفاً للترادف يشمل شروط تحقق الترادف عند المحدثين حين يقول: « الترادف عندنا أن يدلّ لفظان مفردان فأكثر دلالةً حقيقيةً مستقلةً على معنى واحد باعتبار واحد و في بيئة لغوية واحدة» (م . ن ، ص ٣٥)

الترادف بين الإثبات و الإنكار :

من خلال التعاريف التي سبق أياضاًها للترادف ، نجد أن الاختلاف في فهم الترادف يتراوح بين توسيع دائرته و تضيقها ، هذا الاختلاف الذي أدى أيضاً الى اختلاف بينهم في وجود الترادف أو عدمه . وأيضاً نظن أن جذر هذه القضية يعود

الى أصل نشأة اللغة. و يكاد الرأي الأخير يتشعب الى رأيين : أحدهما يرى التوقيف في أصل نشأة اللغة ، بينما يرى الآخر أن اللغة قائمة في أصلها على الاصطلاح ، وهنا نشير الى آراء بعض اللغويين لتبين مدى إختلافهم و علل ذلك. يرى بعض اللغويين أن معنى الدقيق للترادف يقتضي أن تدل الكلمات المترادفة على المعنى واحد على التحديد لا على التقريب . إذ إن مجرد وجود أدنى الفرق و أقله بين الألفاظ يخرجها عن الترادف . (الزبادي، ١٩٨٠م، صص ٦٥-٦٦)

بينما يرى بعضهم أن المترادفات كلمات متشابهة في المعنى الأساس مع قليل من التباين في نواح أخرى، أو أنها تشترك في معنى عام، ولكن كل واحدة منها تختص بنصيب تنفرد به دون الآخر، و المقصود أنها رغم شدة تشابه معانيها ، تتضمن فروقاً جزئية ، سواء كانت هذه الفروق مصاحبة للكلمة في أصل الوضع أم طارئة عليها بالإستعمال ، و إما أنها جاءت إليها من تصرف البلغاء وأساطين البيان . و هذا يعني وجود بعض الفروق بين الألفاظ وإن ذلك لا يمنع من إعتبارها مترادفة وإطلاق هذه التسمية عليها . (م. ن)

و هذا الإختلاف في تحديد معنى الترادف ، يعتبر أحد الأسباب المهمة التي دعت بعض العلماء الى إنكار وجود الترادف ، و دعت الآخرين الى توضيق شقته والإعتقاد بأنه لا يكاد يوجد في اللهجات العربية القديمة ، و إنما يمكن أن يلتبس في اللغة النموذجية . وقد حمل هذا الإختلاف بعضهم أيضاً على النظر الى الترادف كآفةٍ أصابت اللغة في عصور الإنحطاط . (المبارك ، ١٩٦٤م، ص ٣١٨) لذلك نرى تباين آراء اللغويين تجاه ظاهرة الترادف ، منهم من يُقرّ بوجودها ويجمع ألفاظها ، ومنهم من ينكرها ويحاول إلتماس الفروق بين تلك الألفاظ .

أما المسألة التي تفيد الإشارة إليها هنا هي : أيهما كان الأسبق ، القبول بالترادف أو إنكاره ؟

يرى بعض الباحثين أن الإقرار بالترادف كان سابقاً على الإنكار من حيث الزمن ، ودليلهم لولا القول بالترادف ، و التكثر منه والإفتخار بذلك لما كان إنكار المنكرين (الزيادي، ١٩٨٠م ، ص٣٦).

فالقول بالترادف — بغض النظر عن المصطلح وقيود الترادف — كان ماثلاً في أذهان العرب و أشعارهم ، يقول الخطيئة مثلاً :

« أَلَا حَبْدًا هِنْدٌ وَ أَرْضٌ بِهَا هِنْدٌ وَ هِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَ الْبَعْدُ ».

(ديوان الخطيئة، د.ت، ص٦٤)

وتناقل اللغويون و النقاد البيت شاهداً على أن الشاعر يأتي بالأسمين المختلفين للمعنى الواحد تأكيداً و مبالغة. (السيوطي ، د.ت ، ج١ ، ص٤٠٤ - ابن منظور ، ١٩٩٢م ، مادة (سند - جذر)) و يؤيد سبق الإقرار بالترادف ، ما نقله الرواة الأوائل من ألفاظ جمعوها من أفواه العرب في صحرائها الواسعة أثبتوها في رسائل لغوية كانت نواة المعاجم الضخمة بعد ذلك ، و قد أثبت بعضه الخليل في معجمه. (الزيادي ، ١٩٨٠م ، ص١٩٦ - المنجد محمد نور الدين ، ٢٠٠١م ، ص٣٦) كما أشار إليها سيبويه (ت ١٨٠ هـ) في كتابه حين قال «إعلم أن من كلامهم إختلاف اللفظين و المعنى واحد» (سبويه، ١٩٧٠م ، ج١ ، ص٧ و ٨). و قال قطرب (ت ٢١٦ هـ): « إنما أوقعت العرب اللفظين على المعنى الواحد ، ليدلوا على إتساعهم في كلامهم » (الأبary ، ١٩٨٦م ، ص٨ - السيوطي ، د.ت ، ج١ ، ص٤٠٠).

هكذا نمت فكرة الترادف حتى إفتخر بها بعض اللغويين فالأصمعي^{٣٣} (ابن فارس، ١٩١٠م ، ص٢١) (ت ٢١٦ هـ) يفاخر بأنه يحفظ للحجر سبعين اسماً . و نجد

في كتابه الموسوم بـ « ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه » الشيء الكثير من الألفاظ المترادفة بمعنى الترادف الواسع ؛ و أيضاً ابن خالويه يتباهى بأنه يحفظ للسيف خمسين اسماً. (السيوطي، د.ت، ج١، ص ٤٠٥) و زعموا أن حمزة الإصفهاني جمع للدواهي أربعمائة إسم. و يبلغ هذا التفاخر الى ذروته حين يولف صاحب القاموس كتابه الموسوم بـ « الروض المسلوف فيما له إسمان الى الألوف » . (م. ن)

ذلك كله يدل على أن هذه الظاهرة كانت معروفة لديهم و يدل أيضاً على أن ظاهرة الترادف ما كانت لديهم موضع خلاف و جدل .

أما هذا التكاثر و التفاخر بين القدامى فقد كان الشرارة الأولى التي أوقدت نار الخلاف بين اللغويين . و عندما نصل الى القرن الثالث الهجري ، حيث إتسع النظر في قضايا اللغة و كثر القول في جوانبها المختلفة ، نجد من علماء العربية من يصرح بإنكار الترادف ، و يذهب الى منعه ، و يحاول تأويل الألفاظ التي وقعت على معنى واحد ، و يلتزم لذلك الحجج و البراهين ، على حين ذهب أكثر اللغويين الى نفي هذا الرأي مستدلين على ذلك بمختلف الأدلة و البراهين ، مشبتين القول بوقوع الترادف ، و بلغ الجدال أشده في القرن الرابع حتى إذا ذكر الترادف، إنصرف الذهن الى مسألة الجواز و الإنكار. (الزبادي، ١٩٨٠م، ص ١٩٦-١٩٧ - المنجد محمد نور الدين، ٢٠٠١م، ص ٣٦-٣٧) .

فلم تكن المسألة مختصرة على مجرد أقوال و آراء في إنكار الترادف أو جوازه ؛ بل حاول كل فريق أن يضع مصنفات خاصة أو أبواباً من كتبه في تثبيت الترادف أو في رده و إلتماس الفروق اللغوية بين الألفاظ المترادفة .

و مما مضى يمكن القول إن الأسباب التي أدت الى الخلاف بين اللغويين في وجود الترادف أو عدمه هي: ١ - إختلاف اللغويين في تحديد معنى الترادف ٢ -

المبالغة في جمع المترادفات على غير هدى عند اللغويين القدامى . هنا يمكن القول بأنّ الترادف لم يكن موضع جدل أو خلاف قبل القرن الثالث ، بل إنما كان من المسلمات اللغوية ، فبدأ الخلاف بين اللغويين حول ظاهرة الترادف منذ القرن الثالث ، و بلغ أشده في القرن الرابع . حيث نرى الخلاف نفسه بين المحدثين حينما ندرس الظاهرة عندهم ، و سنستعرض فيما يلي هذه الظاهرة عند المحدثين و آرائهم حولها .

آراء المحدثين حول الترادف أو عدمه :

تباينت آراء المحدثين حول وجود الترادف أو عدمه كما كانت عند القدامى، و منهم من يُقرّ بوجود الترادف ومنهم من ينكره .
والمهم هنا أن نظرة المحدثين الى الترادف تختلف عن نظرة القدامى إليه ، بسبب أن العلوم اللغوية الحديثة قد قطعت شوطاً بعيداً في مجال الكشف والبحث . وحدث تطور كبير في الدرس اللغوي الحديث ، و بهذا تهيأ للباحث اللغوي الحديث كثير من الأدوات و الوسائل و العلوم التي لم تكن في وسع القدامى . فكانت نتيجة هذا كله ، دقة نظرة المحدثين الى الترادف و موضوعيتها ، أما النظرة اللغوية القديمة فنجد فيها كثيراً من السعة والشمول . (الزيادي، ١٩٨٠م، ص ٦٥ - المنجد محمد نور الدين، ٢٠٠١م، ص ٧١).

من المحدثين أيضاً نجد من أشار الى هذا الخلاف بين القدامى والمحدثين ، ومنهم مختار عمر الذي يرى أن بين المحدثين نفس الخلاف الذي حدث بين القدماء ، بل إن القضية أكثر تشعباً و إثارة للجدل عند المحدثين . و هو يرى علة ذلك تكمن في إرتباطها بتعريف المعنى من ناحية و بنوع المعنى المقصود من ناحية أخرى .

إن كثيراً من المحدثين يعترفون بوجود الترادف ، و منهم عبدالواحد وافي الذي يعترف بوجود الترادف ، بل يعدّ العربية من أغنى لغات العالم بالمترادفات و يجعل هذا الثراء فخراً لها. (وافي، ١٩٦٨م، ص١٦٢).

ومنهم أيضاً صبحي الصالح الذي يعدّ الترادف من عوامل إتساع العربية في التعبير، و يقسم إستعمال اللغة في العربية على نوعين : ١ — مهجور قد يستعمل. ٢ — مستعمل قد يهجر. و يعدّ هذين النوعين من الإستعمال مَزِيَّةً للعربية. (صبحي الصالح، ٢٠٠٢م، صص ٢٩٢-٢٩٣).

و يرى باحث آخر أنه لا يصح إنكار الترادف مع من أنكره جملة ، رغم ما يوجد بين لفظة مترادفة و أخرى من فروق أحياناً ، بل يجب الإعتراف بأن بعض ما يظن أنه من المترادف هو غير مترادف ، و أن أهل اللغة قد تساهلوا في كثير من المفردات التي عدّوها من المترادف . (رمضان عبدالنواب ، ١٩٩٩م ، ص ٣١٥)

ومنهم أيضاً من رأى أن الترادف أمر معروف في الألسن كلها ، إلّا أنه في العربية أكثر منه في غيرها ، لذلك عدّه اللغويون من أبرز الخصائص و أفضلها (محمد الإنطاكي، د.ت، ص ١٠١ - ابومغلي، ١٩٨٧م، صص ٣٩٨-٣٩٩ - الراجحي، د.ت، ص ٢٢٧)، و يبدو ذلك معقولاً حينما نرى أن من علماء العربية من وضع كتباً مخصوصة لأسماء شيء واحد. أما الباحث عودة خليل ابوعودة فيعدّ الترادف مظهراً من مظاهر التطور الدلالي (ابوعودة ، ١٩٨٥م، ص ٥٨).

إبراهيم أنيس هو الآخر الذي أثبت الترادف في اللغة النموذجية المثالية الأدبية لغة قريش التي نُزِّلَ بها القرآن ، و بالتالي أثبته في القرآن الكريم ، و قد عاب على المفسرين مغالاتهم في التماس فروق بين الألفاظ المترادفة ، و ساق بعض الآيات الكريمة المبرهنة على وقوع الترادف في القرآن الكريم . بالإضافة الى ذلك

فقد إشتراط لوقوع الترادف هذه الشروط وهى : إتحد العصر و إتحد البيئة اللغوية ، والإتفاق في المعنى بين الكلمتين إتفاقاً تاماً في ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة ، و إختلاف الصورة اللفظية للكلمتين بحيث لاتكون إحداهما نتيجة تطور صوتي عن الأخرى . (انيس ابراهيم ، ١٩٩٥م ، ص ٣١٠ - المنجد محمد نور الدين ، ٢٠٠١م ، ص ٧٧) .
و يؤيد هذا الرأي القائل بالترادف أيضاً مجموعة أخرى من العلماء و الباحثين المحدثين ، منهم : عبدالحسين مبارك و احمد مختار عمر ، وحاكم مالك زيادي ، و محمد كمال بشر ، و على الحارم .

غير أن عدداً قليلا من المحدثين ينكرون الترادف ، و منهم : محمد المبارك الذي إعتبره آفة منيت بها العربية في عصور الإنحطاط ، و طالب الرجوع الى ما تحمله الألفاظ من معان دقيقة تصور المشاعر والأحاسيس ، وتناسب الحياة العلمية التي نعيش فيها . والسبب الذي دفعه الى ذلك ما يراه من أن الترادف قتل لخصائص الأدب ، و مزايا الفن الذي يقوم على إبراز المقومات الخاصة و الدقائق الخفية .
(محمد المبارك ، ١٩٩٦م ، ص ٣١٨-٣٢١) .

أن أكثرهم يعترفون بوجود الترادف في العربية رغم الخلاف الموجود بينهم . و نظن أن إختلافهم يعود الى وقوع الترادف التام ، ولايعترف أحد منهم بوجود الترادف التام ، بل كل واحد منهم حين يقبل الترادف يمكن أن يكون هدفه من الترادف ، الترادف غير التام ، أو شبه الترادف . و دليلنا على ذلك القيود و الشروط التي ذكرها بعضهم ، و أيضاً نوع التعريف الذي ذكره الآخرون للترادف ، و أخرجوا عن الترادف كثيرا من الأسباب التي تؤدي الى وقوع الترادف عند الآخرين ، كما صرح به رمضان عبدالتواب حين يقول : « و قد إختلف اللغويون

العرب ، في وقوع الترادف التام ، في لغتنا العربية ، إختلافاً كبيراً » . (رمضان عبدالنواب، ١٩٩٩م، صص ١٧٩-١٨٠)

من هنا نريد أن نستنتج أن المحدثين العرب يعتقدون بنوعين من الترادف هو: الترادف التام و شبه الترادف . و إن لم يصّرحوا به ، كما كان شأن اللغويين الغربيين . و فيما يلي آراء المحدثين الغربيين حول هذه القضية .

لقد تعرض بعض علماء اللغة المحدثين في الغرب إلى هذا الموضوع ، و إن الدراسات الأجنبية الحديثة هؤلاء اللغويين قد قسمت الظاهرة الى قسمين :

« ١- الترادف الكامل : (perfect synonymy أو complete synonymy) أو التماثل (sameness) و ذلك حين يتطابق اللفظان تمام المطابقة، و لا يشعر أبناء اللغة بأي فرق بينهما ، و لذا يبادلون بحرية بينهما في كل السياقات .

٢ - شبه الترادف : (near synonymy) أو التشابه (likness) ، أو التقارب (contiguity) ، أو التداخل (over lapping) ذلك حين يتقارب اللفظان تقارباً شديداً لدرجة يصعب معها - بالنسبة لغير المتخصص - التفريق بينهما ، و لذا يستعملهما الكثيرون دون تحفظ ، مع إغفال هذا الفرق » . ثم مثلوا لهذا النوع في العربية بكلمات نحو : عام ، سنة و حول ، و في الإنجليزية بكلمات نحو : (answer مع reply) ، و (ill مع sick) ، و (own مع possess) ، (أحمد مختار عمر، ١٩٩٨م ، صص ٢٢٠-٢٢١)

وعلى الرغم منه ، الخلاف بين اللغويين الغربيين في وقوع الترادف الكامل ، إلا أن أكثر هؤلاء اللغويين ينكرون الترادف الكامل ، كما أشار مختار عمر و كمال بشر الى طائفة من آرائهم في هذا الشأن و التي تنقسم بدورها إلى مجموعتين :

أ - إن أغلبية اللغويين يرون إنكار الترادف الكامل كما يتبين من النصوص الآتية:

« ١ - يقول (بلوم فيلد الأمريكي blom field) : إننا ندعي أن كل كلمة من الكلمات المترادفة تؤدي معنى ثابتاً مختلفاً عن الأخرى ، و ما دامت الكلمات مختلفة صوتياً فلا بد أن تكون معانيها مختلفة كذلك ، على هذا و نحن باختصار نرى أنه لا يوجد ترادف حقيقي » . (الرماني، ١٩٩٨م، ص٢٦).

٢ - يقول (f.h . George) : إذا وجدت كلمتان مترادفتان من جميع النواحي ، و هل هناك سبب يدعو إلى وجود كلمتين معا بمعنى واحد . ٥٠ . (أحمد مختار عمر، ١٩٩٨م، ص٢٢٤-٢٢٧).

٣ - يقول (lehrer) : إذا اشتراطنا التماثل التام بين المفردتين فلن تكون هناك مترادفات ، و لكن قد يكون هناك عدد من المفردات المتشابهة الى حد كبير في المعنى ، و يمكن تبادلها بصورة جزئية . (أحمد مختار عمر، ١٩٩٨م، ص٢٢٥- الرّماني، ١٩٩٨م، ص٢٦).

٤ - يقول (goodman) : لا يوجد لفظان يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر، دون تغيير الدلالة الحقيقية. وعلى هذا قلوا ادّعينا ترادف كلمتين ، فإن عدم إمكانية تبادلها في بعض السياقات يمكن أن يعدّ دليلاً على أن الكلمتين لا تحتملان المعنى نفسه.

٥ - يقول (stork) : كل الكلمات تملك تأثيراً عاطفياً ، كما تملك تأثيراً إشارياً و لهذا فمن المستحيل أن تجد مترادفات كاملة .

ب - هناك قليل من اللغويين يرون وجود الترادف :

« منهم : الفريق الذي قال عنه (lehrer) : هناك فريق يقول بوجود

الترادف ؛ لأنه يكفي بصحة تبادل اللفظين في معظم السياقات ، مثل mother و maman ، و الخلاف الأسلوبي بينهما لا يمنع ترادفهما » (الرماني، ١٩٩٨م، ص٢٦). من

هذا الفريق أيضاً (أولمان ullmann) فهو يرى : أن الترادف التام يمكن أن يوجد إلا أنه قليل ، و معظم المترادفات تبدو لأول وهلة متماثلة في المعنى ، إلا أن الفروق بينها تظهر بالتدريج. و بالتالي فهي تلائم معنى خاصاً. (أحمد مختار عمر، ١٩٩٨م، ص٢٢٦) أن أكثر المحدثين العرب يعترفون بوجود الترادف مع ذكر قيود وشروط ، دون أي بينما نرى أن تقسيمات للترادف يقسمون الترادف الى الترادف الكامل و شبه الترادف ، و إن أكثرهم ينكرون الترادف الكامل ، ونظن أن الترادف الكامل إذا وجد في لغة ما فهو قليل بالتأكيد ، أما أشباه الترادف فهي موجودة ، و دليلنا على ذلك وجودها في جميع اللغات و خاصة في العربية .

أسباب وقوع الترادف و كثرته :

إن أسباب الترادف شغلت اللغويين قديماً وحديثاً ، نظراً لغموض حد الترادف عند الدارسين ، و أيضاً لإختلاف مناهجهم وتعدد آرائهم في دراسة هذه الظاهرة. فقد كثرت اسباب الترادف في جميع تلك الآراء و المناهج ، و لاشك أنه ليس هناك إتفاق تام بين جميع الدارسين و اللغويين على تلك الاسباب سنحاول في البداية التطرق إلى آراء الأصوليين حول اسباب وقوع الترادف، ثم نذكر بعض ما أحصيناه من آراء اللغويين في اسباب حدوث الترادف .

رأي الأصوليين :

يرى الأصوليون أن لوقوع الألفاظ المترادفة سببين : « أحدهما : أن يكون من واضعَيْن ، و هو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الإسمين ، وتضع الأخرى الإسم الآخر للمسمى الواحد ، من غير أن تشعر إحداها بالأخرى ، ثم يشتهر الوضعان ويختفي الوضعان ، أوليتس وضع أحدهما بوضع الآخر، و هذا مبني على

كون اللغات إصطلاحية. والثاني: أن يكون من واضع واحد وهو الأقل». (السيوطي، د.ت، ج١، ص٤٠٥-٤٠٦)

آراء اللغويين :

إن إستقراء الآراء و مناهج اللغويين القدامي والمحدثين يرينا أنهم ذكروا أسباباً كثيرة لتعليل ظاهرة الترادف في العربية ، و هذه الأسباب تختلف من لغوي لآخر. و من الطبيعي أن يكون تفسير المحدثين لأسباب الترادف أكثر تفصيلاً ودقة من القدامي نتيجة تطور البحث اللغوي و إكتشاف الكثير من الحقائق اللغوية المهمة ، خاصة في علم الدلالة و الأصوات . نشير هنا الى أهم هذه الأسباب :

الوضع اللغوي الأول :

وهو أن تضع القبيلة الواحدة أكثر من إسم للمسمى الواحد ، و قد ذكر ابن جني هذا السبب في حديثه عن تساوي اللفظين في اللغة العربية بقوله : « ... فإن كانت اللفظتان في كلامه متساويتين في الإستعمال ، كثرتهما واحدة ، فإن أخلق الأمر به أن تكون قبيلة تواضعت في ذلك المعنى على ذينك اللفظين ؛ لأن العرب قد تفعل ذلك للحاجة إليه في أوزان أشعارها، وسعة تصرف أقوالها » (ابن جني، د.ت، ج١، ص٣٧٣).

تداخل اللهجات :

قد أشار الى هذا السبب القدماء و المحدثون ، و جعله المنكرون أمراً لا علاقة له بالترادف على مذهبهم ؛ لإشتراطهم أن يكون من لغة واحدة ، كما قال ابن درستويه (السيوطي، د.ت، ج١، ص٣٨٥) : « وليس يجيء شيء من هذا الباب ، إلا على لغتين متباينتين ». وقال ابن جني (ابن جني، د.ت، ج١، ص٣٧٥) : « ... كلما

كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات الجماعات ، و اجتمعت لإنسان واحد من هنا و هنا .»

الإقتراض من اللغات الأخرى :

سواء كان ذلك بين العربية و الكلدانية من اخواتها السامية ، أو بين العربية و غيرها من اللغات ، يدخل في ذلك المغرب و المولد بعد عصر الاحتجاج .(المنجد محمد نور الدين، ٢٠٠١م، ص٦٠)

الإشتقاق وإختلاف الإعتبارات :

يقول محمد المبارك (صص١٩٩-٢٠٠) حول هذا السبب : إذا نظرنا الى وضع الألفاظ وتسمية المسميات من وجه آخر ، لوجدنا أن للشيء المسمى وجوهاً وصفات كثيرة ، ويمكن أن يسمى بأكثر من صفة من صفاته ، و أن يشتق له من الألفاظ كلمات متعددة تبعاً لتلك الوجوه و الصفات ، و من هنا ينشأ الترادف... وهذا هو أبرز أسباب نشوئه و ظهوره في جميع اللغات . و من ذلك تسمية الدار داراً ، و منزلاً ، و مسكناً ، وبيتاً بإعتبار كونها مستديرة في الأصل، أو كونها مكان التزول ، أو موضعاً للسكنة أو بيتوته ، و كل هذه الألفاظ تدل على المقصود نفسه . وقد تنبه بعض القدماء الى هذا النوع من الألفاظ ، و جعله قسماً منفصلاً عن الترادف ، و سماه بالألفاظ المتكافئة ، و عرفها : بأنها الألفاظ التي تدل على متحد في الذات ، متباين في الصفات . و ضرب على ذلك أمثلة من أسماء الله تعالى و أسماء الرسول (ص)(السيوطي، د، ت، ج١، ص٤١٠). و توجد أسباب أخرى ذكرها المحدثون ، و نضرب الصفح عن شرحها و نكتفي بإحصاءها خوفاً من إطالة

البحث و هي : التساهل في الإستعمال ، و التطور اللغوي ، و الفخر و الإعتزاز ، و الدلالة على حالة خاصة ، و فقدان الوصفية و

آثار الترادف و فوائده :

إن العلماء و اللغويين القدامى و المحدثين قد ذكروا للترادف آثارا و فوائد. أما المحدثون فنظروا الى الترادف من جهتين متقابلتين :

الف - إيجابية : منهم من رأى في الترادف فوائد كثيرة ، تخدم الفصاحة و البيان العربي .

ب - سلبية : منهم من رأى الترادف يعوق الفصاحة و ذكروا له آثارا سلبية . و فيما يلي الآثار الإيجابية و السلبية .

١ - الآثار الإيجابية :

الف - التوسع في طرق الفصاحة و البلاغة :

يرى القائلون بالترادف بأنه يؤدي الى التوسع في سلوك طرق الفصاحة ، و أساليب البلاغة في النظم و النثر ؛ ذلك « لأن اللفظ الواحد قد يتأتى بإستعماله مع لفظ آخر السجع و القافية و التجنيس و الترصيع ، و غير ذلك من أصناف البديع ولا يتأتى ذلك باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ » . (م . ن)

و قد تنبّه الى هذه الفائدة المعاصرون منهم : قاصد الزبيدي (قاصد الزبيدي ، ١٩٩٥ م ، ص ١٨٠) الذي يرى أن الترادف يعين الكاتب و الأديب والشاعر أن يختار لفظه من بين تلك الألفاظ المترادفة المتعددة ، ذلك ليلائم سياق كلامه معنى و جرساً . (الزبيدي ، ١٩٩٥ م ، ص ١٨٠)

ويرى باحث آخر أن الترادف يحسن للحاجة الى التوسع بالألفاظ، لأن الشاعر و الساجع إذا احتاج الى إستعمال معنى «قعد» مع قافية سينية ، فإنه يستعمل لفظة «جلس» ، و في غير هذه الصورة فيضيق الطريق عليه ، لو لم يُستعمل لهذا المعنى إلاكلمة «قعد» ، و لم يوجد من التوسع ما وجد بوجوده .
(رمضان عبدالنواب، ١٩٩٩م، ص٣٢٣)

ب - التوسع في اللغة :

هذا يعني أن الترادف يؤدي في تكثر الطرق الى الإخبار عما في النفس ، و وجود البدائل لذلك . و في هذا حرية للمتحدث في طرائق التعبير . ذلك حينما ينسى المتكلم أحد اللفظين أو يعسر عليه النطق به ، أو هويلثغ ولايريد النطق بحرف الرء ، فيستطيع أن يستعمل مرادفه ، و لولا المترادفات التي تعينه على تحقيق قصده ، لما قدر على ذلك . (السيوطي، دت، ج١، ص٤٠٦)

هذه فائدة جلية للترادف تعين المتكلم التصرف في التعبير ، و إختيار لفظ مناسب . و نقل لنا التاريخ أن واصل بن عطاء كان ألثغ لاينطق الرء ، فتجنب في كلامه الرء ، بعد أن هجاه بشار ، و كان قد بلغه هجاءه إليه فقال واصل : «أما لهذا الأعمى الملحد ، أما لهذا المُشْتَف المكنى بأبي معاذ من يقتله ؟ أما و الله لولا أن الغيلة سَحِيّة من سحايا الغالية ، لبعثتُ إليه من يُعِج بطنه على مَضْجعه ، و يقتله في جوف منزله ، و في يوم حظّه ... » (الجاحظ، ١٤٠٩ق، ج١، ص١٦-١٨، الزبيدي، ١٩٩٥م، ص١٨٤-١٨٥، الشايع، ١٩٩٣م، ص٧١). و قد تجنب الرء في كلامه مستعملاً ألفاظاً مترادفة لتلك الألفاظ التي فيها الرء، و ذلك أنه استعمل «المُشْتَف» بدلاً من «المُرْعَث»، و «الملحد» بدلاً من «الكافر». وذكر «الغالية» بدلاً من «المنصورية»

و «المغيرة». وإستعمل «بعث» بدلاً من «أرسل»، و «مضجع» بدلاً من «فراش». (الشائع، ١٩٩٣م، ص ٧١)

ج - التأكيد والمبالغة :

إن الألفاظ المترادفة تمكّن الشاعر من الإتيان بالإسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد ؛ تأكيداً ومبالغة كما جاء في قول الخطيبه :

« أَلَا حَبْدًا هِنْدًا وَ أَرْضٌ بِهَا هِنْدٌ وَ هِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَ الْبَعْدُ »

النأي هو البعد ، جاء هنا للتأكيد و المبالغة (السيوطي، د.ت، ج ١، ص ٤٠٦ - عبدالنواب، ١٩٩٩م، ص ٣٢٤).

ح - السهولة في النطق :

إن الترادف يمكن من العدول عن كلمة الى أخرى أخف منها ، أو أفصح ، أو أوضح ، كما يفيد في تفسير الكلمة التي لم يفهم معناها بكلمة أخرى ، و هو المعروف عند المناطقة بالتعريف اللفظي . مثل قولك: البُر: هو القمح ، والعسجد: هو الذهب . (الشائع، ١٩٩٣م، ص ٧٢)

د - التفنن في الكلام :

من فوائد الترادف أيضاً أن العربية لغة تفنن ، و إن العرب يكرهون التكرار و الإعادة ، و الترادف يعين المتكلم على تجنب إعادة اللفظ إذا إقتضى الحال الى إعادة الحديث عن مدلوله (المنجد محمد نور الدين، ٢٠٠١م، ص ٩١).

٢ - الآثار السلبية:

رأينا فيما تقدم أن القائلين بالترادف يذكرون فوائد جمة للترادف. أما المنكرون للترادف فلأنهم يردّون آراء أولئك و يذكرون للترادف آثاراً سلبية ، و نشير بإختصار الى هذه الآثار :

الف - صعوبة الترجمة :

إن الذين يذكرون للترادف آثارا سلبية يرون أن الترادف يسهم في صعوبة الترجمة ، ونقل المعاني الى لغات أخرى ، و يعتقدون أن المجاز و الإشتراك و التضاد و الترادف عوامل تؤدي الى نقل المعنى الى معان أخرى ، و ذلك النقل يؤدي بدوره الى صعوبة نقل المعاني من لغة الى أخرى عن طريق الترجمة أو التلخيص أو غير ذلك ، و هذا رأي يعزوه المنجّد الى عبدالمعظم الخفاجي .

ب - مخالفته الفصاحة :

يرى هذا الفريق بأن الترادف يسبب أضرارا للغة و أمراضاً للفصاحة و ثراءً زائفاً للعربية ، ذلك أن الألفاظ المترادفة لكثيرها تراحم المعاني ، و تؤدي الى الخلط والإضطراب ، و تعوّق اللغة عن أداء وظائفها . هذا الرأي أيضاً يعزوه المنجّد الى الخفاجي .

أما المنجّد نفسه ، فيخالف آراء الخفاجي من زاويتين : الأولى : إن الترادف الذي يعده الخفاجي من معوقات الترجمة و نقل المعاني لايعده المنجّد من الترادف الكامل ، بل يجعله من الترادف الجزئي ، أو من أشباه الترادف .

الثانية : لايعد الترادف معوقاً أمام المترجم الحاذق الخبير باللغتين المترجم منها ، و المترجم إليها ، و العيب ليس في الترادف بل في من يتقن لغة أجنبية (صص ٨٩-

٩٠. فهو لا يعد الترادف ثراءً زائفاً للعربية كما جعله الخفاجي ، بل يجعله ثراءً حقيقياً في بلاغتها ، كما في ألفاظ المجاز والكناية.

و نحن أيضاً حينما قبلنا تقسيم المحدثين للترادف ، و قلنا إن الترادف الكامل لا يكاد أن يوجد ، بل إن الترادف الذي اعترف به اللغويون ، هو الترادف الجزئي أو شبه الترادف ، ففي هذه الحالة نظن انه لا تكون للترادف آثاراً سلبية ، كما ذكرها بعض المحدثين فيما تقدم ؛ بل إن الترادف الذي يعوق الترجمة و يخالف الصفاة ، يمكن أن يكون الترادف الكامل إذا وجد ، أما الترادف الجزئي أو شبه الترادف فله فوائد كثيرة ، كما رأينا سابقا .

نتيجة البحث:

لقد تعرض هذا البحث الى ظاهرة لغوية شغلت كثيراً من الدارسين قديماً و حديثاً ، و هي ظاهرة الترادف في العربية . وتبين لنا أن مفهوم الترادف كان معروفاً عند القدماء ، و كان تسميته أول من أشار الى بحث الترادف في كتابه الذي سماه « الكتاب » . و جاء العلماء بعده قد حذوا حذوه . لكن مصطلح الترادف لم يظهر إلا في القرن الرابع ، و أول من إستعمل هذا المصطلح هو علي بن عيسى الرهاني الذي جعله عنواناً صريحاً لكتابه «الالفاظ المترادفة المتقاربة المعنى».

و لم يكن ثمة إتفاق على تعريف واحد لهذا المصطلح بين الدارسين قديماً و حديثاً؛ مما أدى الى الخوض في مسألة قبول الترادف أو إنكاره ، حتى تباينت آراء اللغويين و الباحثين القدامى حول هذه المسألة ، ومنهم من أقر به و منهم من أنكره. ويبدو أن الإقرار بالترادف كان سابقاً على الإنكار من حيث الزمن ، و دليلنا أنه لولا القول بالترادف وتكراره لما كان إنكار المنكرين . ونجد الخلاف

نفسه بين المحدثين ، أما آراء المحدثين فكانت أكثر دقة و تشعبا و تفصيلا ؛ و ذلك لتطور البحث اللغوي و الدلالي عندهم ، حتى جاءت تقسيمات للترادف عندهم منها : الترادف الجزئي و الترادف الكامل . و رأينا أن أكثرهم يعترفون بالترادف في العربية رغم الخلاف الموجود بينهم ؛ بيد أن إختلافهم يعود الى وقوع الترادف التام ، و أكثرهم يعترفون بالترادف غير التام أو شبه الترادف ، و قليل منهم يعترفون بالترادف الكامل .

ولوقوع الترادف عند الأصوليين سببان : أحدهما أن يكون من واضع واحد و هو الأقل ، و الثاني أن يكون من واضعين و هو الأكثر . أما اللغويون و الباحثون القدامى و المحدثون فقد ذكروا اسبابا كثيرة منها : الوضع الغوي الأول ، و تداخل اللهجات ، و الإشتياق ، و إختلاف الإعتبارات ، و التطور اللغوي و الدلالي و

ومن أهم الآثار الإيجابية للترادف : التوسع في سلوك طرق الفصاحة و أساليب البلاغة في النظم و النثر و كثرة الوسائل و الطرقات الى الإخبار عما في النفس و التأكيد و المبالغة و السهولة في النطق . و من أهم الآثار السلبية للترادف : صعوبة الترجمة ، و نقل المعاني الى لغات أخرى ، و مخالفتها الفصاحة .
بالتأمل في الآراء السابقة يمكن القول ، بأنّ مرّة ذلك إختلافهم على تحديد معنى الترادف و فهم مدلوله .

من خلال آراء هؤلاء اللغويين و الباحثين القدامى و المحدثين ، يظهر لنا أن القدامى إستخدموا الترادف في معنى عام ، دون أي شرط ، و إهتموا بذلك في توسيع دائرة الترادف ، أما المحدثون فبعضهم يذكرون للترادف شروطاً و هم بذلك

إهتموا في تضيق دائرته ، و بعضهم أراد تضيق دائرة الترادف بإبطال بعض أسباب وقوع الترادف ، و هذا التوسيع عند القدامى و التضيق عند المحدثين أدّى الى إختلاف كثير في وجود الترادف أو عدمه ، و هو الأمر الذي نريد أن ندرسه فيما سيأتي بعداً.



مركز تحقيقات كاپيتوير علوم اسلامی

المراجع و المصادر

- ١- آل ياسين، حمد حسين، الدراسات اللغوية عند العرب الى نهاية القرن الثالث ، ط١ ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٨٠ م.
- ٢- ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق عبدالحكيم بن محمد، د.ط ، المكتبة التوفيقية ، د.ت .
- ٣- ابن درستويه ، تصحيح الفصيح، تحقيق عبدالله الجبوري ، ط١ ، بغداد ، مطبعة الإرشاد ، ١٩٧٥ م.
- ٤- ابن منظور، جلال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق علي شيري ، ط٣ ، بيروت ، دار إحياء التراث الإسلامي ، ١٩٩٢ م.
- ٥- أبو عودة ، عودة خليل، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي و لغة القرآن، ط١،الأردن ، مكتبة المنار، ١٩٨٥ م.
- ٦- أبو مغلي، سميح، في فقه اللغة و قضايا العربية، ط٢ ، الأردن، دارمجدلاوي للنشر و التوزيع ، ١٩٨٧ م.
- ٧- أحمد بن فارس، الصحاحي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها، د.ط ، القاهرة ، المكتبة السلفية ، ١٩١٠ م
- ٨- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط٣ ، بيروت، دار الجليل، ١٩٩٩ م.
- ٩- أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، ط٢ ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٩٨ م.
- ١٠- الإصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، د.ط، دارالكتب العربي، د.ت .

- ١١- الأصمعي، عبد الملك بن قريش ، ما اختلفت ألفاظه و اختلفت معانيه، تحقيق و شرح ماجد حسن الذهبي، ط١، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٦ م .
- ١٢- الأنباري، محمد بن القاسم، الأضداد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، الكويت، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٨٦ م .
- ١٣- الإنطاكي، محمد، الوجيز في فقه اللغة، ط٣ ، بيروت ، دار الشروق ، د.ت .
- ١٤- أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، ط٩ ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٥ م .
- ١٥- بديع يعقوب، إميل، فقه اللغة العربية و خصائصها، د.ط، بيروت، دار العلم للملايين ، ١٩٨٦ م .
- ١٦- البغدادي ، أبو إسماعيل بن القاسم القالي ، الأمالي، د.ط ، بيروت ، دار الكتب العربي ، د.ت .
- ١٧- الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة و أسرار العربية، شرحه ياسين الأيوبي، د.ط ، بيروت ، المكتبة العصرية ، د.ت .
- ١٨- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان و التبيين ، تحقيق درويش الجويدي، د.ط، قم، كتابخانه ارومية، ١٤٠٩ ق .
- ١٩- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، حققه و قدم فهارسه إبراهيم الأبياري ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العربي ، ١٩٨٥ م .
- ٢٠- الجوهري ، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة و صحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العربي ، ١٩٨٥ م .
- ٢١- الخطيئة، الخطيئة ديوان، شرح عمر فاروق الطباع ، د.ط ، بيروت، دار الأرقم ، د.ت .

- ٢٢-الراجحي، عبده ، فقه اللغة في الكتب العربية، د.ط، بيروت ، دار النهضة العربية ، د.ت.
- ٢٣-الرّماني، علي بن عيسى، الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى، تحقيق فتح الله صالح علي المصري ، ط٢، القاهرة، دارالوفاء للنشر والتوزيع ، ١٩٩٨م.
- ٢٤-الزبيدي ،مرتضي ، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق الدكتور عبدالعزيز مطر ، د.ط ، بيروت ، دار الهداية للطباعة و النشر، د.ت .
- ٢٥-الزيادي، حاكم مالك، الترادف في اللغة، ط١، الجمهورية العراقية ، منشورات وزارة الثقافة و الأعلام ، ١٩٨٠م .
- ٢٦-الزبيدي ،قاصد ياسر، فقه اللغة العربية، ط٦، إربد ، دار الكندي ، ١٩٩٥م.
- ٢٧-سيويو، عمر بن عثمان قنبر الحارثي ، الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٩٧٠م.
- ٢٨-السيوطي ،جلال الدين ، المزهري في علوم اللغة و أنواعها ، شرحه وضبطه و صححه و علق حواشيه محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون ، د.ط ، بيروت ، دارالفكر للطباعة و النشر ، د.ت.
- ٢٩-الشايح، محمد، الفروق اللغوية و أثرها في تفسير القرآن الكريم، ط١، الرياض ، مكتبة العبيكان ، ١٩٩٣م.
- ٣٠-صحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ط١٥، بيروت، دارالعلم للملايين ٢٠٠٢م.
- ٣١-صحي الصالح، دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان ، ترجمة محمد كمال بشر، د.ط ، مكتبة الشباب بالمنيرة ، د.ت.

٣٢-الصنهاجي المصري المعروف بالقراقي ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن، نفائس الأصول في شرح المحصول، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود، معوض، علي محمد، ط٢ ، بيروت، المكتبة العصرية ، ١٩٩٩م .

٣٣-عبد التواب ، رمضان ، فصول في فقه اللغة، ط٦ ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٩٩م .

٣٤-عبدالحسين مبارك، فقه اللغة، د.ط، البصرة ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٥م .

٣٥-العسكري ، أبو هلال، الفروق اللغوية، تحقيق حسام الدين القدسي ، د.ط ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د.ت .

٣٦-الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، ط٢، قم، مؤسسة دار الهجرة، ١٤١٠م .

٣٧-فيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، د.ط، بيروت ، دارالمكتبة التريبة، ١٣٧١ق،

٣٨-المبارك ، محمد ، فقه اللغة و خصائص العربية، ط٣، بيروت ، دارالفكر العربي ، ١٩٦٤م .

٣٩-الميرد، محمد بن يزيد، أبو العباس ، ما إتفق لفظه وإختلف معناه من القرآن المجيد، تحقيق عبدالعزيز الميمني الراجكوتي الأثري، د.ط، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٥٠ق .

٤٠-المنجد ، محمد نورالدين ، الترادف في القرآن الكريم بين النظرية و التطبيق ، ط٢، بيروت ، دار الفكر ، ٢٠٠١م .

٤١-وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، ط٦، القاهرة، لجنة البيان العربي، ١٩٦٨م .

مجلة اللغة العربية و آدابها

السنة الاولى-العدد الثالث-شتاء ١٤٢٧ق / ٢٠٠٦م

ص٨٨-٧٥

التطور الدلالي مادة الأدب *

الدكتور علي رضا محمدرضايي**

عالية سادات واصلى***

خلاصة:

الأدب و تطورها بحث هام درس فيه اللغويون من البادي إلى الحاضر. و جهدنا مسن خلال هذه الاوراق المتواضعة تبين مادة الأدب و دفع الغموض عنها و الكشف عن جذرها و نشأتها و تكييفها.

و كذلك الفحص و التفتيش عن تطور الأدب خلال العصور المختلفة من الجاهلية حتى عصرنا الحديث و العوامل الهامة في رقبه و انحطاطه.

راجين ان يكون هذا النص مفيداً للقارى الكريم و مبدءاً لكل الغموض و المطويات.

الكلمات الرئيسية: الأدب، الذآب، التطور، المؤثرات، العصور.

* تاريخ الوصول: ٨٥/٧/٢ تاريخ القبول: ٨٥/٨/٢

** استاذ مساعد في اللغة العربية و آدابها بفرديس قم

*** طالبة بفرديس قم قسم الترجمة

مقدمة:

الحديث عن الأدب حديث ذو شجون. فأتنا إذا درسنا هذه المادة في كتب اللغة نجد بعضهم يكتفون بنقل موارد الإستعمال فحسب كما هي ديدن ثلة ممن ألفت في اللغة، و البعض الآخر يركّز على قسم خاص من موارد الإستعمال دون التعرض لسائر الإستعمالات و نرى بعض الباحثين ينوّهون بالاصول و الجذور، و يعرّجون على توضيح المناسبات في موارد الاستعمال فلا يد لنا من وقفة قصيرة مع علماء اللغة و التعرف على شيء يسير من آرائهم ثم انتقاء أقربها إلى الصواب. فقصدا بعد ذلك أن نبحث عن الأدب و استعماله و معانيه في العصور المختلفة من الجاهلية إلى الحديث و ذكر العصور الأدبية و المؤثرات العامة التي تعمل في نشأته و رقيه و اخطاؤه. أملين الإستفادة منها.

حقيقة الأدب

لكل شيء زينة في التوري و زينة المرء كمال الأدب

قد يشرف المرء بأدابه فينا و لو كان وضع النسب

الأدب عنصر حيوي كائن يتقمّصه الوجود الإنساني و يعتبر أحدهما مرآة ناصعة لآخر و رمزاً لمستوى قيمه المعنوية أعني بالوجود الإنساني... ذلك الإنسان الذي يؤتبه الله هذه الموهبة الفكرية الخلاقة لتكون صوتاً هادراً للخير و الفضيلة في مجالات الشعور و التفكير و التعبير المنطقي و الوجداني على ضوء العقل السليم و تلك هي الكفاءة التي تجعل الأديب أو الشاعر الإنساني قدوةً صالحة في بيئته و مجتمعه، يعمل في سبيل الكرامة و القيم الرفيعة من حيث هو إنسان و أشرف

مخلوق على وجه البسيطة ولأنه جزء من وحدة الوجود في نظام هذا الكون الفسيح البديع المشرق بالجمال.

و إن لنا من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ما يؤيد في جوهره و في مغزاه العميق حيث يخاطب الإنسان و الحكمة يتفجّر من ينابيع عبقرية الرّخّارة من خلال قوله المأثور هذا:

و تحسب أنّك جرمٌ صغيرٌ و فيك انطوى العالم الأكبر

و الأدب في وجوده الفكري وسيلة من وسائل التهذيب الخلقي و النفسي. إلى حدّ يمكن أن نقول: إنّ الأخلاق و الآداب كلمتان مترادفتان بينهما ترابط جوهري و هما من اسمي الغايات التي ترفع من قيمة كلّ امرئ يسعى من أجل تحقيقها.

و لا ندري... فلعلّ الأدب هو الخلق الفاضل، أو الخلق الفاضل هو الأدب، و إذا أمعنا النظر في قول امير الشعراء أحمد شوقي القائل:

قوامُ نفسك للأخلاق مرجعُهُ فقوّم النفس بالأخلاق تستقيم

نستدرك الحقيقة، و يتبيّن لنا أن الأخلاق هي الإطار العامّ لرداب و إنّ الآداب لا تتمّ إلّا بتكامل الأخلاق لأنّها قوام النفس و بها يستقيم سلوك الإنسان في الحياة على حدّ قول شوقي و يقارب هذا المعنى قول شاعر الرّافدين معروف الرّصافي الذي يقول:

و إنّما الأمم الأخلاق ما بقيت و إن هم ذهبوا أخلاقهم ذهبوا

و نرى في هذا القول تجسيداً لمعاني الأخلاق التي ترفع مستوى الأفراد و المجتمعات و الأمم و تكون مقياساً لقيمتها الرّفيعّة و أمّا إذا ذهب أخلاقها فإلّاها تصبح عديمة للقيم المعنوية و كأنّها عديمة الوجود، و للرّصافي أيضاً هذا القول

الرائع الذي يقرن فيه الخلق بالأدب و يعتبرهما (سَلَمًا) يرتقي الإنسان بواسطته إلى المراتب العالية، فقيمة الأدب بالخلق؛ و قيمة الخلق بالأدب:

من عاش في الوسط الزاكي زكا خلُقاً حتّى علّا في المعالي ارفع الرّتب
فاحرص على أدب تحيا النفوس به فلألما قيمة الإنسان بالأدب

فالأدب كائن حيّ، يعالج الأمراض الروحية التي تعبت فساداً بمعنوية الإنسان و تجرّده من الأخلاق السّامية أيما تجريد. حيث لا ينفعه إذ ذاك سوى الأدب فهو طبيبه الحاذق؛ و هو دواؤه التاجع و الأديب الموهوب هو المقصود في ذلك، كما يقول العلامة المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي: «الإنسان مخلوق مركّب من روح و جسد، لا شك في ذلك؛ و إذا كانت الأبدان بحاجة إلى من يطبّها و يأسو جراحها، فإنّ القلوب و الأرواح أشدّ حاجة من ذلك، و الأديب الموهوب هو طبيب الأرواح يشخص الداء و يصف الدواء» (صادق آل طعمة، ١٣٨٨م، ص ٢٧٠ و ٢٧١).

فإذا كان العلم بمختلف أنواعه يعتبر أساساً لبناء الحضارة الإنسانيّة على مرّ العصور و الأجيال... فإنّ الأدب و هو إلى جانب العلم دعامة راسخة في بناء الكيان الروحي في حياة المجتمع و على الأخص في بلاد الشرق الإسلامي و العربيّ الذي هو مهبط رسالات السّماء و موطئ أقدام عظماء البشريّة من الأنبياء و المرسلين الذين أرسلهم الله لتحرير الإنسان من رقة الجهل و إغلال العبوديّة و شقاء الفوضى و توجيهه إلى توحيد الله و الإيمان به و الذين كانت دعوائهم قائمة على مبادئ العدل و الحقّ و الحرّيّة و الآداب و الأخلاق و المثل العليا. بما فيها انصاف المظلوم و إسعاد المجتمع البشري في الحياة، حيث كانت الدّعوة الإسلاميّة على يد الأنبياء و المرسلين محمّداً صلى الله عليه وآله خاتمة تلك الدّعوات الإلهية السّامية.

فالأدب العربي أكثر إنسانيةً من سواه، لأنه لغة الضَّاد العريقة المتأثرة بلفظة
الوحي السَّماوي المنزل. و المستمد حيويته و خلود من رسالة الإسلام و من معيها
الزَّاخر الَّذي لا ينضب، و هو القرآن الكريم. (صادق آل طعمة، ١٣٨٨هـ، ص ٣٣٤ و ٣٣٦).

مادة الأدب

لقد قسّمت مادة الأدب عند اللغويين إلى ثلاثة: أدب، أدب، أدب و اليك
شرح كلٍّ من ذلك:

فأدب: بمعنى الدَّعوة الى الطَّعام والآدب هو الدَّاعي الى الطَّعام قال طرفة بن العبد:
نحن في المشتاة ندعو الجفلى

لا ترى الآدب فينا ينتقر

و الأدبة و المأدبة و المأدبة، كلّ طعام صنيع لدعوة أو لعرسٍ قال صخر الغي
يصف عقاباً:

كانَ قلوب الطَّير في قعر عَشَّيها نوى القسب ملقى عند بعض المآدب

(الخليل، ١٤٠٩م، ج ٨، ص ٨٥ - ابن منظور، ١٤٠٥هـ، ج ١، ص ٢٠٦)

و أمّا أدب: أي ذا حسن السَّلوک و التَّعامل و الدَّمانة أو التَّربية الفاضلة و
ربَّما حسن السَّمت و الإحترام لآخرين في القول و العمل... فالأدب بهذا المعنى
هو التَّهذيب و حسن الإعداد و هو المقصود في الحديث الشَّريف المنسوب
للرَّسول صلى الله عليه وآله «أدِّبني ربِّي فأحسن تأديبي»

(أحمد لؤسان، ١٤٠٨م، ص ١٥٦ و ١٥٥)

و قيل أدب أي الظَّرف و حسن التَّناول. (فيروز آبادي، د.ت، ج ١، ص ٢٦).

و أدبته فتأدَّب أي علَّمته الأدب فتعلَّم و سمي به لأنه يؤدِّب النَّاس إلى المحامد
و ينهاهم عن المفاح و أصل الأدب الدعاء. (الزَّبيدي، د.ت، ج ١، ص ١٤٤)

فنستنتج ممّا ذكره علماء اللّغة أنّ الاصل في استعمال مادّة الأدب بصورة عامّة هو الدّعوة و استعمله طرفة في الدّعوة إلى الطّعام ثمّ تسرّى في الدّعوة إلى المحامد و المحاسن و التّهي و التّجنب عن المقابح و المساوي.

و أمّا أدب بفتح الدّال و قيل الادب بسكونه بمعنى العَجَب و القول في جاش أدب البحر اى كثر مائه (زمخشري، ١٣٨٥م، ص ١٤)

على هذا فارس بن زكريّا ارتأى أنّ الأدب هو اصل واحد تنفرّع مسائله ويرجع اليه وكلّه بمعنى تجمّع التّاس (راجع فارس بن زكريّا، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٣٨٢)

جدير بالذكر أنّ هناك آراء في ابدال كلمة الادب او اشتقاقها بحيث نرى ترابطاً واضحاً على صعيد فقه اللّغة بين «التّأديب» و «التّهذيب» و أنّ «أدب» و «هذب» الدّائرتان حول معنى واحد قد جرى بينهما ابدال في الحروف لقرب مخارج الالفاظ (احمد لؤسان، ١٩٨٨م، ص ١٥٥ و ١٥٦)

وهناك رأى آخر للأستاذ «نيلنو» في اشتقاق الكلمة، فهو يشتقّها من «الدّأب» بمعنى العادة، و يرى أنّ هذه الكلمة لم تشقّ من المفرد و إنّما اشتقت من الجمع، فقد جمعت «دأب» على أدأب ثمّ قلبت فقليل «آداب» كما جمعت «بئر» و «ورثم» على «أبار» و «أرام» ثمّ قلبت فقليل (أبار و آرام).

قال الأستاذ «نيلنو»: «و كثر استعمال الآداب جمعاً للدّأب حتّى نسي العرب أصل هذا الجمع و ما كان فيه من قلب. و خيل اليهم أنّه جمع لا قلب فيه فأخذوا منه مفردة أدباً لا دأباً. و جرى استعمال هذه الكلمة بمعنى العادة ثمّ انتقل من هذا المعنى الطّبيعيّ القديم إلى معانيه الأخرى المختلفة». (شوفي ضيف، ١٩٧٦م، ج ١، ص ٣٧)

و ظاهر أن رأي الأستاذ «نيلنو» كراي غيره من أصحاب اللغة يعتمد في أصله على الفرض... و هو فرضٌ بعيدٌ و أقرب منه أن تكون الكلمة انتقلت من معنى حسّي و هو الدّعوة إلى الطّعام إلى معنى ذهنيّ و هو الدّعوة إلى المحامد و المكارم، شأنها في ذلك شأن بقية الكلمات المعنوية التي تستخدم أولاً في معنى حسّي حقيقيّ، ثم تخرج منه إلى معنى ذهنيّ مجازيّ (طه حسين، ١٩٨١م، ج١، ص٢٤ و ٢٥).

نعم! يمكن ان نقول ردّاً على رأي الأستاذ نيلنو هذه فرضية محضة بأن العرب نسوا أصل الأدب و كان ذلك الدّأب لكننا نوافقه بناءً على أصل الاشتقاق الكبير و هو عبارة عن ارتباط مطلق غير مقيد بترتيب بين مجموعات ثلاثية صوتية ترجع تقاليها السّنة وما يتصرّف من كلغ منها إلى مدلول واحد مهما يتغاير ترتيبها الصوتي. (صبي صالح، ١٩٦٠م، ص١٨٦). فنثبت كلام نيلنو عن طريق هذا الاشتقاق ونردّ على طه حسين الذي ابعده تماماً.

تَطَوُّرُ مَادَّةِ الْأَدَبِ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ

كلمة «أدب» من الكلمات التي تطوّر معناها بتطوّر حياة الأمة العربية و انتقالها من دور البداوة إلى أدوار المدنية و الحضارة؛ و قد اختلفت عليها معانٍ متقاربة حتّى أخذت معناها الذي يتبادر إلى أذهاننا اليوم، و هو الكلام الإنشائيّ البليغ الذي يُقصد به إلى التأثير في عواطف القراء و السّامعين سواء أكان شعراً أم نثراً. فإذا رجعنا إلى العصر الجاهليّ ننقب عن الكلمة فيه، لم نجد لها تجري على ألسنة الشعراء، إنّما نجد هذه اللفظة قد استعملت في الدّعوة إلى الطّعام، كما جاء في قول طرفة بن العبد:

لا ترى الأدب فينا ينتقر

نحن في المشتاة ندعو الجفلى

و من ذلك المأدبة بمعنى الطعام الذي يدعى اليه الناس، و اشتقوا من هذا المعنى أدب يادب بمعنى صنع مأدبة أو دعا اليها.

و ليس وراء بيت «طرفة» أبيات أخرى تدل على أن الكلمة انتقلت في العصر الجاهلي من هذا المعنى الحسني إلى معنى آخر. و من العجيب، أننا نجد لهم القوافي الطويلة على الباء و قد استوعبوا فيها الألفاظ إلا مادة الأدب و مشتقاتها مع أنه ليس أخف منها عند المتأخرين و لا أعذب و لا أطرب و لا أعجب. (مصطفى صادق الرافعي، ٢٠٠٢ م، ص ٢٢ و ٢٠)

و أما في العصر الاسلامي نجد الكلمة تستخدم على لسان الرسول صلى الله عليه وآله في معنى تهذيبي خلقي، حيث يقول «أدبني ربّي فأحسن تأديبي».

كما يستخدمها شاعر مخضرم يسمى «سهم بن حنظلة الغنوي» بنفس المعنى اذ يقول:

لا يمنع الناس منّي ما أردت و لا أعطيهم ما أرادوا حسنَ ذا أدبا
و ربّما استخدمت الكلمة في العصر الجاهلي هذا المعنى الخلقي غير أنه لم تصلنا نصوص تؤيد هذا الظن. و لكن الشيء الذي لا شك فيه هو أننا لا نعرف نصاً عربياً جاهلياً صحيحاً ورد فيه لفظ «الأدب» و الشيء الذي لا شك فيه أيضاً هو أننا لا نعرف لفظ الأدب في القرآن الكريم، و كلّ ما نعرفه هو أن هذه المادة قد وردت في حديث مهما يكن رأي المحدثين فيه، فليس هو بالحجة القاطعة على أن النبي (ص) قد استعمل هذه المادة...، و هذا الحديث لا يثبت حكماً لغوياً إلا إذا ثبت ثبوتاً لا يقبل الشك أو كان من الراجح على أقل تقدير أنه صح بلفظه عن النبي (ص) و لكننا بعيدون عن هذا كله، فنستطيع أن نقول في غير تردد إنه ليس لدينا نص صحيح قاطع يثبت أن لفظ الأدب و ما يتصرف منه من الأفعال و

الأسماء قد كان معروفاً أو مستعملاً قبل الإسلام أو إبان ظهوره... (طه حسين، ١٩٨١ ج١، ص ٢٥ و ٢٦) وهذا البحث لا يخلو عن مناقشات إذ نرى لفظة الأدب إبان ظهور الإسلام كما نراها في عدة كلام رويت عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) و كفاك قوله -عليه السلام- الذي صار كالمثل السائر: «لا ميراث كالآداب».

و لا نمضي في عصر بني أمية حتى نجد الكلمة تدور في المعنى الخلقي التهذيبي، و تضيف إليه معنى ثانياً جديداً و هو معنى تعليمي، فقد وجدت طائفة من المعظمين تسمى بالمؤدبين، كانوا يعلمون أولاد الخلفاء الأمويين ما تطمح إليه نفوس آبائهم فيهم من معرفة الثقافة العربية. فكانوا يلقنونهم الشعر و الخطب و أخبار العرب و أنسابهم و أيامهم في الجاهلية و الإسلام و أتاح هذا الاستخدام الجديد لكلمة الأدب أن تصبح مقابلة لكلمة العلم الذي كان يُطلق حينئذ على الشريعة الإسلامية و ما يتصل بها من دراسة الفقه و الحديث النبوي -صلى الله عليه و آله- و تفسير القرآن الكريم...

و لا نكاد نصل إلى القرنين الثاني و الثالث للهجرة حتى تأخذ الكلمة معنى معرفة أشعار العرب و أخبارهم و أخذ المصنفون يؤلفون كتباً سموها كتب الأدب ككتاب الكامل في اللغة و الأدب للمبرّد و غيره، كما استعملها بعضهم بمعنى المنهج الذي ينبغي أتباعه في فهم من الفنون أو عمل من الأعمال. فقالوا: أدب الكاتب، أدب المجلس، و أدب الحديث (معصومي البهبهاني و حنفي فر، د.ت، ص ١٣ و ١٤).

و اذا انتقلنا إلى عصر الإنحطاط نجد مدلول الكلمة قد أطلق على جميع ألوان المعرفة و بخاصة علوم البلاغة و اللغة حتى قال ابن خلدون في مقدمته: «هذا العلم لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه أو نفيها، و إنما المقصود منه عند أهل

اللسان ثمرته و هي الإجادة في فني المنظوم و المنثور على أساليب العرب و مناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة من شعر عالي الطبقة و سجع متساوٍ في الإجادة و مسائل من اللغة و النحو مبثوثة أثناء ذلك، متفرقة يستقرأ منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر قسمٍ من أيام العرب يفهم به ما يقع في أشعارهم منها و كذلك ذكر من الأنساب الشهيرة و الأخبار العامة . و المقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب و اساليبهم و مناحي بلاغتهم اذا تصفّحه، لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه، فيحتاج إلى تقدير جميع ما يتوقف عليه فهمه ثم إنهم إذا أرادوا حدّ هذا الفن، قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب و أخبارهم و الأخذ من كل علم بطرف». (ابن خلدون، د.ت، ج، ١، ص ٥٥٣)

و لما كان القرن الثاني عشر استعملت لفظة «أدب» في الشعر و النثر و ما يتصل بهما من نحو و علوم لغة و عروض و بلاغة و نقد أدبي.
و المراد بالأدب اليوم في موجز القول هو: «أن الأدب تفسير جميل عن الوجود بحيث يثير عواطف المخاطبين» و يؤثر فيهم صورة موحية.

فانقسم الادب اليوم الى قسمين: الادب الانشائي أو الابداعي، و الادب

الوصفي أو الموضوعي:

١ - الادب الانشائي هو الذي ينتجه الاديب بقواه الغريزية أو الاكتسابية، و هو يقسم الى قسمين: احدهما كلام منظوم يعتمد في لفظه على الوزن والقافية و في معانيه على الخيال والعاطفة، ويسمى شعراً، و الثاني لا يعتمد في الفاظه على وزن و لا قافية، و إنما هو مطلق حرّ لا يلتزم صاحبه قيوداً من القيود التي يلتزم في الشعر

، ولا يعتمد في معانيه على الخيال و العاطفة فحسب، و إنما أكثر اعتماده على التفكير الصحيح والمنطق السليم، وهذا الكلام يستمى نثراً .

٢ - الادب الوصفي: وهو يقوم بدرس الادب الانشائي، و يقسم قسمين: التحليل الادبي، وتاريخ الادب:

التحليل الادبي: هو دراسة الآثار الادبية في جوهرها و عناصرها و صفاتها التي تجعل منها آثاراً فنية، و اظهار قيمتها.

و أما تاريخ الادب: فهو وصف آداب العصور و ترتيبها و تحليلها، يتناول الادب الانشائي مبيناً اطواره باحثاً في ما عراه من قوة و ضعف و رقي و انحطاط، رابطاً اللاحق بالسابق، و راداً كل شيء الى اسبابه .

فترى أن هناك مؤثرات عامة تعمل في نشأة الادب و رقيه و انحطاطه فهي :

١ - البيئة الطبيعية: و هي ما يحيط بالانسان من احوال المكان و الجو. فللجبال تأثير غير ما للسهول، وللبلاد الحارة غير تأثير البلاد الباردة و للرّيف تأثير غير تأثير المدينة. فالبيئة الطبيعية معين الاديب و مستوحاه. بل مؤثرة بهواها و جوها و طقسها على اخلاق الناس و الاخلاق تنعكس في الآثار الادبية.

٢ - البيئة الاجتماعية و المعاشية و السياسية و الثقافية: و هي حالة الامم من ناحية الغنى و الفقر، والحضارة و التأخر، و من ناحية الاخلاق و العادات و الحياة العقلية، و اساليب العيش و المعاملات و طرق الحكم. ولهذا أثر كبير في اللغة و الادب من حيث اللفظ و الاسلوب و الخيال و التفكير و الاغراض، و التهوض و الرقي و الجمود و الانحطاط .

٣ - امتزاج الامم و اتصال بعضها ببعض: و من شأن ذلك أن يمزج الثقافات و يوسّع الآفاق، و يجري انقلابات كثيرة و هامة في الافكار و الأخيلا و الاساليب .

٤ - الأديان: الذين ملتصق بنفس الانسان وله سلطان على القلوب، و من ثم له أثر كبير في الادب بما يث من اخلاق ومعتقدات، و بما يخط من طرق روحانيّة وجدانيّة سامية. (حتاء الفاحوري، د.ت، ص ٣٦-٣٧)

و كذلك يتعاطى تاريخ الأدب الى تقسيمه من حيث العصور، فاختلف المؤرخون في ذلك فمنهم من نظر اليه من ناحية أصالة لغته و منهم من نظر اليه من ناحية علاقته بالبيئة السياسيّة و الاجتماعيّة

لكن هناك تقسيم آخر لهجه العلامة الدكتور محمود البستاني في كتابه (تاريخ الادب العربي في ضوء المنهج الاسلامي)، فأخضع فيه التاريخ الادبي لمنهج موضوعي فقسّم العصور الأدبيّة في ضوء الواقع الاجتماعيّ اي وفق سيرة الاسلام الدينيّة و حياة ائمة المسلمين من اهل بيت - عليهم السّلام - فكانت العصور وفق منهجه هي :

- ١ - عصر ما قبل الاسلام
- ٢ - العصر الاسلامي و ينتهي بوفاة النبي (ص)
- ٣ - عصر الامام عليّ (ع). يبتدئ عام ١١ هـ و ينتهي في عام ٤٠ هـ.
- ٤ - عصر الامامين الحسنين عليهما السلام من عام ٤٠ هـ و إلى عام ٦١ هـ.
- ٥ - عصر الامام السجّاد (ع) من عام ٦١ هـ و إلى عام ٩٥ هـ.
- ٦ - عصر الامامين الصادقين عليهما السلام من عام ٩٥ هـ و إلى عام ١٤٨ هـ
- ٧ - عصر الائمة الكاظم و الرضا و الجواد عليهم السلام من عام ١٤٨ هـ و إلى عام ٢٢٥ هـ
- ٨ - عصر الامامين العسكريين عليهما السلام من عام ٢٢٥ هـ و إلى عام ٢٦٠ هـ.
- ٩ - عصر الامام المهدي عليه السلام و السّفراء الاربعة - رضي الله عنهم - من عام ٣٢٩ هـ.
- ١٠ - عصر الازدهار العلميّ و ينتهي حدود منتصف القرن الخامس .

١١ - العصر الوسيط حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري .

١٢ - العصر الحديث و يمتدّ الى آيامنا الحاضرة.

نتيجة البحث:

تبين للقارئ الكريم ان لفظ الادب فيه مباحث و مناقشات فاذا بحثنا عنها في كتب اللغة نجد بعضهم يجعلونه ذاجذور كما يجعله البعض ذا أصل واحد و كذلك يمكن البحث عنها في كتب فقه اللغة وتاريخ الادب فنشاهد انه واقعاً حديث ذو شجون لكن ما وردنا هنا و استنتجنا منه هو أن هذه المادة مأخوذة من أدب بمعنى الدعاء و ثبتنا أنها يمكن ان تكون منقلبة من كلمة أخرى مستعينة مسن علوم فقه اللغة ويقسم الادب الى نوعين الانشائي والوصفي كما تعرفنا العوامل العامة في نشأته و رقيّه و انحطاطه كما وردنا العصور الادبية على المنهج الجديد.

المصادر والمراجع

- ١- آل طعمة، السيد صادق، الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء، د.ط، كربلاء، مطبعة أهل البيت كربلاء، ١٣٨٨ ق / ١٩٦٨ م .
- ٢- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ط٤، بيروت، دار احياء التراث العربي ، د.ت.
- ٣- ابن منظور، لسان العرب ، ط١، بيروت، دار أحياء التراث العربي، ١٤٠٥ ق.
- ٤- حسين ، طه، تاريخ الادب العربي، ط٤، ١٩٨١ م.
- ٥- الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب ، د.ط، بيروت ، المكتبة العصرية، ٢٠٠٢ م.
- ٦- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، د.ط، بيروت، مكتبة الحياة، د.ت.
- ٧- زنجشيري، أساس البلاغة، د.ط، بيروت، دار البيروت، ١٩٦٥ م .
- ٨- الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، ط٩، بيروت، دار العلم للملايين، د.ت.
- ٩- ضيف، شوقي، تاريخ الادب العربي ، د.ط، مصر، دار المعارف ، ١٩٧٦ م .
- ١٠- الفاخوري ، حنّاء، تاريخ الادب العربي .
- ١١- فارس بن زكريّا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، د.ط، بيروت، دار الجليل، ١٩٩٩ م .
- ١٢- الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، كتاب العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩ ق.
- ١٣- الفيروز آبادي، محمد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، د.ط، بيروت ، دارالمكتبة التريبية، ١٣٧١ ق.
- ١٤- لواساني، الدكتور أحمد، ط٢، منشورات لؤسان للثقافة الملتزمة، ١٩٨٨ م .
- ١٥- معصومي البهبهاني و جنتي فر، محمد حسن و محمد، تاريخ الادب العربي الحديث، د.ت.
- ١٦- CD المعجم الفقهي.

مجلة اللغة العربية و آدابها

السنة الاولى - العدد الثالث - شتاء ١٤٢٧ ق/ ٢٠٠٦ م

ص ١٠٥ - ٨٩

الترقيم وعلاماته: دور الاغريق و الروم و الفرس في ابداعه *

السيد الدكتور مهدي ممتحن **

خلاصة:

لقد اصبح الترقيم في الغرب مستحوذاً على اهتمام المؤرخين و اللسانيين الأخصاء الذين لا يقلون عدداً، بصلته الوثيقه بالكلام التلقائي و الكتابة و القراءة، و دلالاته على نوع التركيب بين الجملات و اسلوب القراءة و شكل التفكير و المنطق. فلذلك عُدَّ من اهم الظواهر التي تشترك فيه غالبية اللغات مع خصائصها و الفوارق التفصيلية بينها. لانه يدل على تحسین القراءة و الاهتمام في كتابة نص جميل من حيث الاسلوب و المفاهيم التي تركز عليه، و يهتم برفع الالتباس في مضمار الكتابة و الانشاء و القراءة . و يؤدي الى الحصول على التعامل الصحيح بين الناس، و ببقائه تعطل أكثرية عملية الابلاغ و التفاهم بين كثير من الجماعات على النحو الذي نراه اليوم في غالبية الكتب القديمة و الحديثة. و نظراً الى اهمية الترقيم في اعظم اللغات ، و عدم الاهتمام بدراسته في اللسانيات او البحث عنه و كيفية نشوئه في الزمن الغابر، رأينا ان نعالجه في اطار منظار و عزمنا على البحث عن دور الاغريق و الروم الفرس في ابداعه و كيفية كتابته و الاهتمام به.

الكلمات الرئيسية: الترقيم، العلامة، الكتابة، الاغريق ، الروم، الفرس.

* تاريخ الوصول: ٨٥/٤/١ تاريخ القبول: ٨٥/٦/١

** أستاذ مساعد بجامعة آزاد الاسلامي بمحرفت

مقدمة:

الترقيم كان يستعمل بشكل خاص من الزمن الغابر و حتى الآن في الجمل و العبارات المتنوعة الادبية، من النظم و. النثر، ولكننا لا نعرف زمنا دقيقا لاستعماله، و لا نعلم كيف كان او كيف ابتدع في البدايه؟ و من الذي ابدع الترقيم؟ فقد عزمنا في هذا المقال على ان نذكر بدايته على الامكان، و طريقة استخدامه و في اليونان او الرومان او ايران، و من ثم نذكر شيوعه و تغييراته لدى علماء اللغة و اللسانيين. فالموارد التي قررنا ان نذكره في هذا البحث هو ان الترقيم كيف استخدم في كتب المذاهب الغابرة، كمذهب زرادشت و التوراة و الانجيل، الى ان نصل حول استخدامه و استعماله في الكتب المتداولة. و لم نتعرض في هذا الموجز للترقيم في القرآن الكريم او في اللغة العربية بل للآثار الادبيه المكتوبة و العلمية للاروروبيين و البلدان الآسيوية و الشرق الاوسط، حتى يتضح لنا ذلك الى حد ما في القراءات و الكتابات بوضوح و فصاحة كاملة. و منها يتضح تأثيره في جميع مجالات الانشاء و المقال. في هذا الباب استطعت على الاستفادة من المنابع و المصادر العربية و الانكليزية و الفارسية و عزمت على ان اقدم هذا المقال الى من يود المطالعة حول ذلك كي تزيد معرفته حول تشكيل الترقيم و طرق تطوره حتى الان.

الترقيم و الاغريق

لقد اتفق الفيلولوجيون و اساتذة علم اللغة او فقه اللغة على ان اول من نظم الترقيم و وضع له قواعد خاصة بهذا الامر هو النحوي الاغريقي - ارسطو فان البيزنطي^١ (Aristophan de Byzance) حوالي سنة (٥٤٠ - ٤٨٠ ق.م)

ففي العصر الذي كانت الاغريق عابرة طريق الهلنستي او (الحضارة الغابرة) و الامر كان هكذا في مدينة الاسكندرية التي كانت تعتبر عاصمة البطلمة او البطالسة^٢ الذين كانوا يعيشون على وحدات اجتماعية منظمة و ذات صفة عالمية (عبدالوهاب يمى لطفى، ١٩٦٤م، ص ٣١٥) و كان سكانها من جنسيات و قبائل متنوعة و الذي يقدر حوالي ثمانين و خمسين جنسيه على الاقل .

فالباعث و الدليل الذي أدى الى استحداث الترقيم من قبل البطلمة هو انهم قد نصبوا انفسهم دعاة للحضارة الاغريقية، (م.ن، ص ١٨٦ و ١٨٧) و احساسوا ضرورة السيطرة بشكل فعال و حماسي على المسائل الثقافية في مصر لأخضاع افكار المجتمع و توجيه قدرة الحاكم في كافة ارجاء البلاد (م.ن، الصلحتان) و هذا الامر مما أدى الى تاسيس المتحف المملوكي و الجامعة و المكتبة (دائرة المعارف كتابخانه، ص ٢٠٣)*

و لقد أدت رسالتها المثلى طوال القرنين من إنشائها في جمع التراث القومي الاغريقي و تنظيمه (عبدالستار الخليجي، ١٩٧٦م، ص ١٤) و تيسيره للدارسين (دائرة المعارف، ص ١٥)، ثم ضبط اول ثبت رسمي بأهم معالم ذلك التراث و تحرره (دائرة المعارف كتابخانه، ص ١٧) فادى ذلك الى جعل الاغريقية لغة للبلاد الحكومية (زكي علي، ١٩٧٢م، ص ٢٥٨) و تعريف الشؤون الادارية بها و من ايجابها على كل من كانت له رغبة في شغل منصب و توظيف في الإدارة (علوم اليونان و سيل انتقالها الى العرب، ١٩٧٠م، ص ٩) ، و لكن المصريين صعوبة شديدة في تعلم اللغة الاغريقية و اصبح اتقاهم لهذه اللغة ناقصا جداً (م.ن) . فكان ارسطوفان البيزنطي هو احد تلاميذ زنيودوت الافيزي^٣، و خلفه في تولي امانة مكتبة الاسكندرية و في تحقيق آثار هوميروس، ثم اضرب المصريين عن تعلم هذه اللغة والدليل على ذلك هو متمثل في كيفية الكتابة بصفة خاصة.

فكانت الكتابة المصرية القديمة قد أثارت إعجاب اليونانيين حوالي القرن الخامس قبل الميلاد و لذلك سموها باللغة الهيروغليفية اي (الرسوم المقدسة) لانها كانت تتركب من تصاوير عديدة منفصلة بعضها عن بعض ببياضات عازلة و هكذا في الكتابة الكهنوتية المتفرعة من الهيروغليفية ثم الكتابة الشعبية التي ظهرت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، فكل منهما يتحلى بخاصية عزل الوحدات الكتابية، بفراغات بيضاء مبثوثة بينها بصورة واحدة، مرسومة تفصل ما قبلها عما بعدها و ذلك شأن تسهيل عملية القراءة (احمد، ١٩٦٥ ص ٥٥).

اما الاغريق خلاقاً للمصريين لم يكن لهم حفلا خاصا بالبياض العازل في الكتابة بل كانت كتاباتهم متصلة و ترسم الفاظها متراصة و متلاحمة على هيئة كتلة خالية من الفراغات حتى كانت دكاها سطورا واحدا. و كانت الكلمات مكتوبة بشكل لفظ واحد، و ليس هناك فيها مائز ليفرق اللفظ من سابقه الا هيئة الحروف الاولى و الاخير من العبارة حيث كانت متميزة تقريبا.

و لما كان هذا المائز الشكلي غير واف بتمكين القراء الذين لا يقدرّون على تكلم اللغة اليونانية بسرعة و طلاقة. فقد اهتم ارسطوفان بالاستعاضة عن البياضات الفارغة بجهاز خطي و مركب من ثلاث نقاط متفقة الشكل، لكن الوظيفة المحولة لكل منها تختلف عن الاخرى. و هذه النقاط عبارة عن النقطة التي فوق السطر (point moyen) و هي التي تفصل كل لفظ عن الالفاظ الاخرى المحاذية في السلسلة المكتوبة و النقطة التي تقع اعلى السطر (point en haut) و تنبئ عن مواضع النبر و التلّفظ حيث تجعل فوق المقطع الذي ينبغي الضغط عليه اثناء الكلام حتى يكون بارزا من باقي المقاطع و النقطة التي تقع اسفل الحروف (sous

(point) و تركز بكل دقة تحت كل حرف من الحروف المصوتة (Voyelles) و ايضا من الحروف التي لا يشملها النطق (Letters muies).

ثم عاضد ارسطوفان تلميذه ارستارك الساموثراقي سنة (٢٢٠-١٤٣ ق.م) (Aristargue de samothrace) في تطوير هذا الجهاز من ترقيم اللفظ الى ترقيم الجملة. فان النقطة التي توضع تحت السطر او (Comma)، هي التي تدل على الوقفة القصيرة، و تدل القارئ على القراءة و النقطة فوق السطر، تدل ايضاً على الوقفة الطويلة، و ترسم النقطة الوسطى او (Colon) فوق السطر و ترمز الى الوقفة المتوسطة، فهي ليست قصيرة و لا طويلة و لكنها متوسطة الحال.

لقد ابقى ارسطوفان و تلاميذه علامة خاصة، و التي شاعت بين اليونانيين السابقين لعصره و هي (Paragraphos) و تدعي الفاصلة الخاصة التي تسمى بالشولة، و توضع تحت بداية آخر سطر من كل فقرة الى انتهائها بانتهاء السطر المذكور.

فالمورخ بفيفر R.pfeiffer اكد على ان ارسطوفان البيزنطي لم يخترع الترقيم بل واصل ذلك تقليداً، و الف بين العلامات المستخدمة قديماً و حديثاً في زمنه دون أي انتظام، و هي من العلامات المستخدمة من قبله و كانت قد استعملت في القرن السابع قبل الميلاد. و في نصوص مكتوبة بالاغريقية. اما في القرن الرابع قبل الميلاد و جدت علامات العودة الى السطر و نهاية المصنفات في حين انها كانت واضحة جداً (آر. جيفر، ١٩٦٨م، ص ١٧٨ و ١٧٩)*

و يمكن القول على الاجمال بأن النقوش و المخطوطات التي شوهدت من القرنين الخامس و الرابع قبل الميلاد ان النظام الخطي لليونانية القديمة، كان يتضمن

غالبا بين العبارات، نقطتين او نقاطا (dots) متتالية، و شوهدا ايضا خطوطا عمودية (vertical string) للفصل بين الوحدات المتتابعة في السلسلة المكتوبة، الا انها قد استعملت بين اناس قليلين، من بينهم ارسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) سواء كان في مصنفاته او في مخطوطة الالياذة التي كتبها بخط يدوي الى تلميذه الاسكندر المقدوني و كان يتفرد بنفسه على وضع خط افقي (horizontal line) تحت اول كلمة من كل وحدة ذو معنى واحد اعلاما للقارئ بائتداء فقرة جديدة. اما يوريبيد Euripide الذي عاش قبله سنة (٤٨٠-٤٠٦ ق.م)، فقد اعتاد على استخدام خط على شكل حرف التاج (V) و هو يدل على انتقال الكلمة من مخاطب الى آخر في بعض المسرحيات. فاللغة الاغريقية ليست هي اللغة الاولى في العالم التي استعملت الترقيم في كتاباتها. فاننا نرى نقش ذكرير Stele de zquir الذي عثر عليه في مدينه حماة و العائد تاريخيا الى سنة ٨٠٠ ق.م يدل على ان الآراميين قد استعملوا خطا مائلا trait oblique، و الذي كان يعزل بين الكلمة و ما يليها و من اصبحوا بعدئذ يفصلون الالفاظ بنقاط فوق السطر و نقطة واحدة في اعلى الحدين الكلمتين. فالكتابة العبرية ليست هي ابتداعا من الكتابات الشرقية لان الموابيين^٤ و هم (اصيلو شرق الاردن) كانت كتاباتهم مزودة كلها بالنقطة الفاصلة بين الكلمات و بالفارزة للجمل للفصل عن بعضها.

اما الكتابة المسمارية يمكن ان تكون اول كتابة تزودت بالترقيم في فترة معينة و في بلاد الرافدين. ففي نصوصها الشعرية شوهدت الفاصلة التي تمثل مسمارا وحيدا بين كل لفظين كاللغة الاكدية، و هي تدل على انها قد استعملت فيها الفواصل قبل اللغات الأخرى.

الخط و الترقيم لدى الفرس قبل الميلاد:

لقد قام العالم الدانماركي مونتر Monter باكتشاف المسمار القائم مقام علامة الترقيم و الذي كان يؤدي وظيفة النقطة في مخطوطات نيبور^٥ الذي تعهده كي يبحث عنه، و لها صلة بلغة الابستاق^٦ Avesta و هو لسان كتاب الفرس^(٧) المقدس المنسوب الى زردشت^٧.

يقول تنسر رئيس الهرايدة (هيريدي هيريدان) أن اردشير بابكان كتب الى ملك طبرستان اعلم ان الاسكندر قد احرق كتاب ديننا البالغ على اثني عشر الف جلد بقرة و الان قد بقي ثلث منه في الصدور. (ابن اسفنديار، ١٣٦٥، ص ١٩)

يرى العالم الانكليزي وست (West) ان الابستاق او (اوستا) الهخامنشيين، تم اخراجه بطريقة متميزة دالة على شكل خاص من الترقيم و الذي قسم الى الف فصل، كل منها ينقسم الى واحد و عشرين كتابا او نسكا و لم يسبق من هذا الكتاب في عهد الساسانيين عددا ٣٤٥٧٠٠ كلمة في ٣٤٨ فصلا. و المهم لنا بان نقول ان الابستاق مكتوب بلغة خاصة بالذات و له ابجدية مختصة بالفارسية و هي (دين دبیره)^٨ التي كانت تعبر افضل ابجدية في الشرق.

و لئن امعنا النظر سنرى باننا لاثملك اثرأ آخر مكتوباً بهذه اللغة سوى الأبستاق (بوداود، ١٩٦٨، ص ٢٩) فان نص هذا الكتاب موشح ببعض علامات الترقيم و يدل على ان الشرقيين قد استعملوا هذا النوع من الترقيم قبل اليونانيين، و يستنبط من ذلك ان كتاب الفرس المقدس قد تحلى بهذه العلامات بفترة طويلة قبل تحلى الالباذة لهوميروس .

٣- الترقيم و علاماته في عهد الرومان:

ان اللغة الثانية التي كانت مجالاً للترقيم آنذاك هي اللاتينية، و اصبح ذلك في ظل الرومان قبل ان ينشطر الحكم نهائياً (٣٩٥-٤١٠) الى امبراطوريتين شرقية، و عاصمتها القسطنطينية على البوسفور و غربية و عاصمتها روما على تيرمع فاصل بينهما. فالكتابة اللاتينية كانت في بداية امرها بسيطة و لا يستعمل فيها اية ترقيم، و محرومة من البياض العازل بعضها من بعض و هي التي كانت تشابه اللغة اليونانية و ليس فيها من غرابة، لانهم قد استعملوا القلم الاتروسكي^١ كخط لهم و للفتهم في القرن السادس قبل الميلاد و هو الخط الذي كان يكتب في آن واحد من اليمين الى اليسار و من اليسار الى اليمين طرداً او عكساً على غرار اليونانية، ثم استقر نهائياً من اليسار الى اليمين (ابن اسفنديار، ١٣٦٥، ج ١، ص ١٩).

فالرومان لم يكونوا قد انتخبوا ترقيماً خاصاً لهم و انما اقتبسوا الاسلوب الارسطو فاني مع اضافات بسيطة في كتاباتهم. فالمخطوطات اللاتينية المستعملة في نهاية القرن الاول و الثاني كانت موشحة بالنقاط العازلة بين الالفاظ و من ثم انقطع الرومان الى استخدام الترقيم عائدين الى الكتابة المتصلة. وخلال العقود الاخيرة من القرن الرابع للميلاد قام في الامبراطورية الرومانية نشاط لغوي خاص و انشطر الى نوعين (الشرق الهلنستي او الهليني و الغرب اللاتيني) (ام. سي. درموت، ١٩٧٦م ، ص ٩)، و من ثم انقسمت اوربا في بداية العصر الوسيط الى نصفين، احدهما لاتيني والاخر يوناني، فترتب على شأن ذلك أن الترقيم اصبح في اللسان الاغريقي على الهيئة الاولى، بينما اصبح الترقيم في لغة الرومان مرتقناً باوضاع الثقافة و الحضارة و التعليم في اوربا الغربية.

الامبراطورية البيزنطية وشأن الترقيم في كتاباتها :

لقد تخلت الامبراطورية البيزنطية تدريجيا من سنة (٦١٠-٧١٧م) عن انتمائها الى الرومان لتكون في النهاية منتمة الى الاغريق في حدودها الترابية و تركيبها العرقية، و يونانية في لسانها و ادارتها. فما ان مضت سنين حتى تمكنت اليونانية ان تظهر على كافة اللسان السائدة هناك و ارتقت حتى اصبحت هي اللغة الرسمية للدولة و الادارة عوضا عن اللاتينية التي نشأت في بيزنطة. لما كان التعليم في هذا العصر، يعد من اهم الامور المشتاقه اليها، و اللغة اليونانية هي التي تكفلت امور التعليم، فان الترقيم على الطريقة الاسكندرية عاد اليها سالف اعتباره لمساعدة القراء الجهرية. فكان المتعلم لا يكاد يناهز السادسة حتى يبدأ باكتساب الصرف و النحو فضلا عن القراءة و الكتابة حتى يمر على دراسة الآداب اليونانية التي قد تمتعت آنذاك بالترقيم.

فالتلميذ البيزنطي كان يبدأ بقراءة و حفظ اشعار هوميروس^١ قبل ان يطالع حياة الشعراء الاخرين.

فكل منهم كان يحفظ خمسين بيتا، والبعض منهم قد حفظ الالياذة برمتها عن ظهر قلب في السنين المبكرة (حسين مجيب المصري، ٢٠٠١م، ص ١١٧) و في النهاية نرى ان النحوي الاغريقي ارسطوفان البيزنطي كان قد اهتمدى الى كيفية الترقيم المنسوبة الى اشعار هوميروس و اقتبس منها ماشاء، لان الملحميتين كانتا في ادق ترقيم و ظلنا ممتاز باجمل شكل من هذا الامتياز في ظل الدولة البيزنطية.

لما كان النحاة البيزنطيين قد توصلوا الى ترقيم جديدة و هو الفاصل المجرد و الفاصل المنقوط من الاسفل و من الاعلى، فقد اقبل احد العلماء باسم كوميتياس في القرن العاشر على تحديد ترقيم اشعار هوميروس في حين انه قد بذل ما في وسعه

من مجهود، لتوظيف العلامات الجديدة و من جهة اخرى جد اكثر علماء اللغة و اللسانيات في القرن الخامس عشر على تحديد الترقيم الموحسود في اكثر الاشعار خصوصا في الالباذة، لان المجهود البيزنطي في هذا المجال كان منصبا على الشعردون النثر، لان النظم اليوناني الكلاسيكي كان يخضع لقواعد الكمية و كان الشعر على اساس صياغة النبر.

و من ذلك نظمت مدائح دينية مسيحية على هيئة شعر موازينه عدد النبرات. و البيزنطيون يحدون مشقة في دراسة الشعر الاغريقي من حيث اثم كانوا ينطقون على اساس النبرة المكتوبة، كما كانوا مضطرين الى تعلم النطق كي يقدرؤا ما في الشعر من ايقاع موسيقي و اوزان و بحور، و من ثم افضى كل ذلك الى احتياج اللاتينية الى الترقيم، و ذلك لكثرة اللهجات الموجودة آنذاك، و لاصلاح الخطاب الشفوي الذي كان متداولاً بين الناس و كان قد حف بالاغلاط الشائعة. و لما كان المستوى الثقافي منحصرا في الكتابة و القراءة قبل عام (١١٠٠م) في المدارس و الكنائس و الاديرة لذلك كانت معرفة اولئك مقصورة على خدم الدين و هم الرهبان و الكهنة و موظفو الحكومة و اصحاب المهن المحترفة (بوداود، ١٩٢٧، ص ٢٩) ثم بقيت اللغة اللاتينية هي لغة التعلم و العبادة في كافة اوربا طيلة القرون الوسطي، و لذلك

لم يكن ثمة مناص الا بزيادة تطويرها. و ذلك بالترقيم و وضع علامات خاصة Signes رجاء لتحسين قراءة نصوصها. و قد تم ذلك في نطاق النهضة الكارولنجية^{١١}

فقد حدثت محاولات فردية في مجال لغة اللاتين قبل. فهناك من رجال النحو الذين قد اهتموا بارجاع اصول ترقيم ارسطوفان الى اللغة اللاتينية. و في القرن

الرابع للميلاد ومنهم دوناتوس Donatus عينوا النقاط الثلاثة، و في القرن السادس للميلاد اكد الكاتب اللاتيني كاسيودور الصقلي Cassiodor desicile (٤٨٠-٥٧٥م) في كتابه ، الى ان علامات الترقيم انما هي بمثابة الادلة على المعنى و التي تفصح عن مفاهيم اللغة في الجملة، و هي الكفيلة لاثارة القراءة على اكمل وجه ممكن و هناك ماحدث تعارض من قبل علماء اللغة عليه. اما اهم محاولة الترقيم الذي حدث بالطابع اليوناني هو اقتراح القديس جيروم (Saint-Jeromeo) و هو الذي ظهر حين ترجمة التوراة (Bible) الى اللاتينية و كانت هذه الترجمة تعرف بالرواية الشائعة Vulgate حيث اتبع طريقة ترقيم تقوم على اساس تقطيع النفس وفق جمل صغرى حتى يستطيع القارئ على الأستراحة للنفس.

و من ثم ظهر البياض على انه بمثابة الترقيم و تطوير الكتابة و الذي يترك بين الالفاظ المرسومة علائم بعد ان كانت تكتب السطور متلاصقة، و قد استعملت هذه العلامة حتى القرن التاسع عشر في اوروبا، رغم استخدامه في بريطانيا اواخر القرن الثالث عشر للميلاد.

و هنالك ظهرت النهضة الكارولنجية فاعطت للترقيم دفعا لم يسبق له مثيل. فشارلمان^{١٢} Charlemane بما انه كان امراطورا للغرب و حامي الكنيسة و محبا للفنون و الآداب، لكنه كان اميا، فقد انشأ محلا علميا ما يشبه بالاكاديمية داعيا اكابر العلم من جميع اوروبا، مكلفا مستشاره العلامة الانجلوسكسون (الكوين)^{١٣} Alcuin (٧٣٥-٨٠٤) بالاشراف على تطوير الحياة الثقافية و العلمية في الغرب و كان يشغف بالعلم و خصوصا علم النحو. لكنه لا يحسن الكتابة و هو مسيحي شديد الحماس للإنجيل. فقد خصص رواد النهضة العلمية لتطوير الكتابة و تكثيف اعمال النسخ و نشر نصوص الكتاب المقدس على اوسع نطاق ممكن. و لما كان

شارلمان على العلم من الترقيم الذي اقترحه القديس جيروم، لذلك اشتاق الى تطوير الترقيم في الكتاب السماوي و الوثائق الدينيه (دائرة المعارف بريتانيكا، ١٩٦٨م، ص ٢٧). و قد اسفرت هذه المجهودات عن كشف الحرف الكاروليني الصغير Carollingian minuscule الذي شاع استخدامه بسرعة في اوروبا. ثم استعملت النقطة الواحدة فوق السطر. (Punctus) و هي تدل على انتهاء التركيب الجزئي و النقاط المتعددة المتتالية علامة على انتهاء الجملة و في نفس الوقت اكتشفت علامة الرفع (Punctus elevatus) (V) لتدل على النغمة المرتفعة و كل هذه العلامات في النهاية تدل على تسهيل القراءة و ترشد الى منحي الصوت و كيفية التنويع في طبقات الكلام . و تنقسم حينئذ الى ترقيم قوي Punctuation forte .

يمثله احد الاشكال الخطية و يسمى في الحالات المختلفة Periodus و ينقسم ايضا الى ترقيم ضعيف Punctuation fable و يمثله خطيا، النقطة الوسطي التي ترسم اعلى السطر. و عند انقضاء تلك الفترة لم يتوقف الترقيم بل اضيفت اليه علامات جديدة كالعلامات الوقفية Pausaux الرامية الى رصد موانع التنفس و مدته المتفاوتة، و لقد شهدت تغييراً جزئياً في النص اللاتيني، حيث اصبحت الوقفة المطولة pauseforte يشار اليها بنقطه فاصل، والوقفة المتوسطة الطول و علامتها نقطة معززة بفاصل من فوقها تدعى Comma و الوقفة القصيرة او الخفيفة Pausfaible و رمزها النقطة المجردة، و من ناحية اخرى ظهرت علامات اخرى في العالم اللاتيني و اللغات التي ترتبط بها و هي:

١ - حرف التاج mejusculus و قد ظهر هذا النوع من الترقيم في القرن الثالث عشر و هو على هيئة (v) ارشادا الى ابتداء الجملة الجديدة او الفقرة الجديدة تميزا لها عما قبلها و موقعه في بداية الجملة من السطر المكتوب

٢- الفارزة Virgule و هو خط مائل على هيئة (/) يقوم مقام الفاصل الخالي و يدل على الوقف الخفيف (١٧)

٣- نقطة الاستفهام punctus interrogativus ظهرت هذه العلامة في فرنسا خلال الفترة الادبية الكارولنجية بين سنة ٨٨٠ و ٩٠٠م

٤- العلامة الرافعة punctus circumflexus و هي علامة نغمية و تدل على النغم الصاعدة في الكلام و على المنحنى التصاعدي للصوت عنه اخر كل جملة متعلقة نحويا بما قبلها و ظهورها يرقى تاريخيا الى القرن الثالث عشر و علامته (>-)

٥- علامة التعجب exclamatio و تم ظهورها في ايطالية حوالي سنة ١٣١١ق

٦- علامة الاقواس paraenthesis و نشأت في القرن الثاني عشر في ايطاليا على شكل نقاط اربع، الاوليان منها متعاقبان [١٠٠] و الاخريان احدهما فوق الاخرى[: توذنان بانتهاء المقتطف المستشهد به و وظيفة هذه النقاط في الاقواس

فصل الكلمات المتقطعة عما سبقه من الكلام السابق له

٧- خط الوصل (-) الذي ظهر اول مرة في بريطانيا و في القرن العاشر للقيام بدور الاخبار عن قسمة اللفظ عند الضرورة بين اخر سطر و اول السطر الذي يليه. (١٥)

نتيجة البحث:

رأينا أنّ أول من استفاد من الترقيم و وضع له قواعد الخاصة بها هو ارسطوفان الاغريقي. والاغريق -على خلاف المصريين- ما استخدموا البياض العازل في الكتابة كآلة للترقيم بل كانت كتاباتهم متصلة. و عاضد ارسطوفان تلميذة ارستارك في تطوير قضية الترقيم من اللفظ الى الجملة و على كلف شوهدت في النقوش و المخطوطات من القرنين الخامس و الرابع قبل الميلاد. أنّ النظام الخطي لليونانية. كان يتضمن غالباً بين العبارات. نقطتين او نقاط متتالية و شوهدت ايضاً خطوطاً عمودية للفصل بين الوحدات المتتابعة والسلسلة المكتوبة.

ثم بينّا ان في كتاب الابستاق الايراني شكل خاص من الترقيم و هذا الكتاب يقسم الى الف فصل كل منها ينقسم الى واحد و عشرين كتاباً او نسكاً و موشع ببعض علامات الترقيم و يدل على ان الشرقيين قد استعملوا نوعاً من الترقيم قبل اليونانيين و كتاب الفرس المقدس قد تحلّى بهذه العلامات بفترة طويلة قبل الاليسادة هو ميروس.

والرومان لم يكونوا قد انتخبوا ترقيماً خاصاً لهم و انما اقتبسوا الاسلوب الارسطوفاني مع اضافات بسيطة في كتاباتهم. اما البيزنطيون فقد توصلوا الى ترقيم جديد وهو الفاصل المنحرد والفاصل المنقوط من الاسفل ومن الاعلى.

هوامش:

١ _ ارستوفان Aristifanse شاعر يوناني كتب حول الكميديا والمسرحيات المضحكة في الزمن العابر وله آثار شتى تبحث حول مسائل جسامته، و الأنفاذ من الأعداء السياسيين و الادباء . و كان قد شب من عائلة و أسرة اصيلة و هرففه، و ثربه و اسمه يدل على نجابته و اصالته. بمعنى (احسن ظاهرة). و قد تولد حدود سنة (٤٥٠ ق.م) . كانت موضوع مسرحياته المضحكة حرب الانثيا والاسبارت التي قد كتبها في رمس شبابه و اقام زمناً طويلاً في اثينا و لما كان يرى اليونانيين يفتنون من قبل المواطنين، استنبح الامر و دعاهم الى الصلح و اصبح زمناً هو الوالي للطلق هذه المدينة و كلامه و محاوراته الكميدي كانت مملوءة من الحب و الحباة. و كان كلامه و لفره بياته يقابل شكسبير و ديكر و رابله و غالباً كان يفصل حملاته بالتقديم هم المائوس [ويل دورانت - يونان الغابر - ج٢ - ص ٤٨٣-٤٨١ - و [دكتور معين - ص ٣١]

٢ _ البطالسة أو البطالسة - اسم اطلق على ملوك الفلسطينيين و عرفوا باللاحقين (٣٦٠-٣٠٠ ق.م) و عددهم ١٦ نفسراً و اشتهرهم (سوتيرأو الملخص) ٣٦٠-٢٨٣ ق.م و ابن لاخس و هو موسى السلالة و من فواد الاسكندر الكبير، جعل الاسكندرية عاصمة و له اسس فيها خزائنة للكتب و من ثم فيلا دلفس ٢٨٣-٢٤٦ ق.م وهو حامي الفنون و الاداب كما انشا مكتبات و متاحف و ترك آثاراً عمرانيه اهمها مسارة الاسكندرية و الى عهده و ترجم التراث السبعيني و من ثم افرحانس الحسن (٢٤٦-٢٢١ ق.م) الذي انتصر على اسلفش كاليبكس ملك سورية و على الفرس. بلغت الدولة في عهده اعلى مراحل الفره و شيد معابد و من ثم بعد انما كه في الحرب اصبح ملكها حاضراً لرومنا (المتحد- الاعلام- ص ٣٠)

٣ - زيودوت الافرزي (٢٤٠-٣٢٠ ق.م) - Zenodote Ephese نخوي افرقي عين اول امين مكتبة الاسكندرية فهي اول نشرة نقدية الأشعار هو ميروس حيث اقدم على جمع شتى النسخ من الالياه اي مجموعات ارغس و حيوس - النسخة التي صحتها ارستو لتلميذه الاسكندر المقدوني ثم اخذ بقارها و بتأليفها مضافاً اليها بعض المحواشي الزائدة على الاصل حتى لقد علاتنظمة للحملة اليونان الشهيرة على طريقة ارستو و قسم النص الى ابواب و فصول و وضع عناوين فرعية و حط بالخراسن للتمهيد لاهمال ارستوفان واضع اول جهاز التقديم

٤ - اللوايون - هم قبائل من العربيين الذين كانوا يعيشون في هضبة فلسطين شرق البحر الميت، احتلها بنوحذ نصر حوالي القرن السادس قبل الميلاد و عرفت معه فترة الخطا و ازدهرت مع الايباط و المواب ابن لوط، و جد اللوايون و كانت عاصمتهم ربة [المجد - ص ٥٥٢]

٥ - نيبور كام Niebhury (١٨١٥-١٧٣٣) هو رحالة و مستشرق دالماركي طاف في اليمن و العراق و ايران و له كتاب «وصف بسلاط العرب» و هو كتاب نفيس لما فيه من معلومات واسعة (المجد-الاعلام)

٦ _ الاستاق (اوستا) Avesta- Avistak هو كتاب المقدس للابرايين و الزرادشة و يشتمل على خمسة فصول و هي [بسا و نخري علسي الجاهل - يشنها - و بسره و نديدا - اوستا الصغير] و القسم للمعظم منه انشادات زردشت، و لما اشعل اسكندر الفعصر الملكي الايراني و احرق كتاب الاسباق اصدر الملك بلاش الاشكاني قراراً بان يجمع الكتاب المهورى و من ثم كتب هذا الكتاب بخط (دين ديره) في زمن الساسانيين

٧ _ زردشت - الخلاف على اشدّه حول زمن زردشت حيث ان عدة روايات يونانية ترويه الى الالف السنين قبل المسيح و يقول حسانتوس انه عاش قبل حجة عشايار شاه المصمشمشي على اليونان حوالي الف سنة بينما يقول هو ميروس انه عاش قبل حرب طرواده بحراة حجة الالف مسنة و يزعم بروسوس المورخ الكندي ان زردشت عاش حوالي ٢٣٣٠ ق.م . اما الزردشتيون انفسهم يعترفون بان بينهم ولد حوالي سنة ٦٣٠ ق.م و قتل عن سن تاهز السابعة و السبعين في بيت النار ببلخ عندما اغار عليها ارجاسب الطوراني (قاموس دكتور معين - الاعلام).

٨ _ دين دبهره - حط متنبس من الخط الفارسي البهلوي و الذي استعمل في زمن الساسانيين الى تحرير المتن المقدسة لرزادشت و كانت تستعمل الحروف المصونة كالاجدية اليونانية ضمن الحروف الفصانة و زمن كشف هذا الخط يمكن ان يكون حوالي القرن الرابع و السادس للميلاد (قاموس معين - دكتور معين - الاعلام - ص ١٩٨).

٩ _ اتروسكي - اتروسك [Etrusques] العرسي - يستنبط من القصص الروايات الرومية ان جماعة الاتروسك قد قدموا عن طريق البحر و سكنوا ايطاليا، لان بعض عاداتهم كانت مشابهة لرسوبيين، و دخلوا ايطاليا على بحر الترينين حوالي (٩٥٠ ق.م) و هم كانوا ينفقون في عاداتهم و ثقافتهم عن باقي الملثك و هكذا في حطهم و كتبهم (دكتور معين - قاموس معين - الاعلام - ص ٩٨).

١٠ _ هو ميروس Homeros (القرن ٩ ق.م) و لد في آسيا الصغرى هو شاعر ملحمي يوناني و قيل انه كان اعمى. نسب اليه المؤلفون اشعار الاليادة و الوديسة و الاعاني المزمرة التي اثرت تاثيرا هيبيا على مستقبل الشعر اليوناني

١١ _ الكارولنجين او الكارولنجية Karolngien هم سلسلة ملوك في فرنسا ٧٥١-٩٨٧ م) وهم الذين اخدوا لقبهم من قبيلة ششارلمان و الذين حكموا في فرنسا عهد شارل مارتل و اصبحت حكومتهم قانونية من قبل الناس و امتاروا على اعيان الفساد و العساوين مسن البابا و امتد حكمهم حتى لوي الخامس و بفضلهم اكتسبت الكتابة و القراءة بشكل خاص و سجل بعض الترفيق باسمهم (دكتور معين - قاموس - ص ٥٠٧).

١٢ _ شارلمان اوشارل الكبير Charlemagne (٧٤٢-٨١٤ م) هو ملك الفرنج و امبراطور العرب و مؤسس السلالة الكارولية. جعل افسس اكس لاشايل (آخن) عاصمة له و حاول الاستيلاء على اسبانيا ففشل في سرقسطه ٧٧٨ م و بشر انفسه بية و دافع عن الغنماء و الادباء مسهم (الكوين) و اقام علاقات تجارية مع الشرق - (المعهد - الاعلام - ص ٣٢٧).

١٣ _ الكوين Alcuin (ت ٨٠٤ م) عالم انكليزي ساعد شارلمان في نشر العلوم و الاداب و ادى الى تطوير الكتب الانكليزية (المعهد - الاعلام - ص ٦٤).

المصادر والمراجع:

- ١- ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان، ج ١، د.ط، طهران، عباس اقبال، ١٣٦٥ ش.
- ٢- بوداود، كاتما، بمبي، ١٩٢٧ م.
- ٣- الابجدية، احمد هبو، نشأة الكتابه و اشكالها عند الشعوب، د.ط، المطبعة السلفية، ١٩٦٥ م.
- ٤- الحلوجي، عبدالستار، نحات من تاريخ الكتب و المكتبات، د.ط، جدة، دارالمقتطف، ١٩٧٦ م.
- ٥- الحلوجي، عبدالستار، المخطوط العربي، د.ط، جدة، مكتبة الصباح، د.ت.
- ٦- زكي، علي، مصري عهد البطالمة، د.ط، دارالمخيمر، ١٩٧٢ م.
- ٧- علوم اليونان و سبل انتقالها الى العرب، ترجمه و هيب كامل، د.ط، مطبعة الحلبي، ١٩٧٠ م.
- ٨- لطفى، عبدالوهاب يحيى، دراسات في العصر الهلنستي، د.ط، لبي، دارالكتب لاطنية، ١٩٦٤ م.
- ٩- المصرى، حسين مجيب، صلات بين العرب و الفرس و الترك، د.ط، مصر،
الدار الثقافية، ٢٠٠١ م.

مركز تحقيقات كميور علوم ردى

1-Byzantine Civilisation

2-Encyclopaedia of Britannica, 1981

3-John MC.Dermott: Punctuation for NOW London Macmillan 1990

4-R-Pfeiffer- History of classical Scholarship from the Beginning to the end of Hellenistic Age, Oxford, 1968



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب *

(دراسة تطبيقية لنماذج من كتابات محمد مندور و سيد قطب و محمد غنيمي هلال)

هو من ناظميان **

خلاصة:

تحولت الدراسات الأدبية و النقدية خلال ثمانيات القرن التاسع عشر و بدايات القرن العشرين تطوراً كثيراً بتأثير الدراسات اللسانية الحديثة و الجهود التي بذلها علماء الألسنية ؛ ففي هذا الإطار تحول مفهوم دراسة الأساليب الأدبية حيث تحول إلى علم مستقل بعنوان الأسلوبية التي تستخدم الأسس و المناهج اللسانية لدراسة تحليلية منهجية للأساليب الأدبية وفق مناهج علمية .

و بما أن من أبرز الخواص الأسلوبية هي المعجم اللغوي و الثروة اللغوية للشاعر أو الكاتب ، يعتبر فحص هذه الثروة و تقييمها أحد المؤشرات التي يمكن إستخدامها لتحليل الأساليب الأدبية تحليلاً منهجياً علمياً و هنا مجال واسع أمام الباحثين و مناهج متعددة ؛ منها دراسة تنوع المفردات في الأسلوب و هذه ما نحن بصددّها في هذا المجال و ندرسها وفق أحد الطرق الإحصائية و هي طريقة « جونسون » Johnson في كتابات ثلاثة من الكتاب العرب : محمد غنيمي هلال و محمد مندور و سيد قطب .

الكلمات الرئيسية : الدراسات الأدبية ، الأسلوبية ، المناهج اللسانية ، تنوع المفردات.

* تاريخ الوصول: ٨٥/٧/١ تاريخ القبول: ٨٥/٧/٣٠

** ماجستير في اللغة العربية و آدابها بجامعة اعداد المدرسين

مقدمة:

خلال نهايات القرن التاسع عشر و خاصة في مطلع القرن العشرين ، حدثت نقلة نوعية في التعامل مع النصوص الأدبية بفضل الدراسات اللسانية و رواد اللسانيات الحديثة مثل فرديناند دي سوسير Saussure (١٨٥٧-١٩١٣) و شارل بالي Bally (١٨٦٥-١٩٤٧) من جهة و رومان جاكوبسون Jakobson (١٨٩٦-١٩٨٢) و فيكتور شك洛夫سكي Shoklovsky بتأثيرهم على الدراسات الأدبية من جهة أخرى. اتسم البحوث اللغوية في القرن التاسع عشر بالطابع التاريخي الذي يتناول تطور اللغة عبر العصور و كان خلط منهجي بين دراسة اللغة تاريخية و آنية فميّز سوسير بين المنهجين و فرّق بين الدراسات من النوع الأول أي التعاقبية diachronic و الدراسات من النوع الثاني أي التزامنية synchronic و دعا إلى دراسة اللغة كما هي الآن و التفريق بين اللغة و تاريخ اللغة (محمد بونس علي، ٢٠٠٤، ص١٤) و كان لهذا التفريق تأثير كبير في الدراسات اللسانية و الأدبية حيث ألهم الدارسين و الناقدين استخدام الأسس و المناهج اللسانية في الدراسات الأدبية (علوي مقدم، ١٣٧٧، ص١٦٧-١٧٣)

من جهة أخرى دعا الشكلاونيون الروس و كانوا علماء الألسنية مثل جاكوبسون و شك洛夫سكي خلال العقد الثاني و الثالث من القرن العشرين إلى التركيز على النصوص الأدبية في ذاتها (علوي مقدم، ١٣٧٧، ص٨-١٢ و صفوي، ١٣٨٣، ص٥٢-٥٥) هكذا تغيّر مسار الدراسات الأدبية و أدّت إلى نشأة المناهج النقدية النسقية التي تركّز على النص وحده و تجعله في المركز الأول في الدراسة و التحليل و تعتبر المؤثرات الخارجية مثل حياة المؤلف و الظروف الاجتماعية و السياسية و النفسية و غيرها في المركز الثاني و تعتبرها هامشيا خلافا للمناهج النقدية السياقية

أو التقليدية . (بلوحي ، ٢٠٠٤ ، ص ٥) و أثار التغيير في اتجاه الدراسات الأدبية و النقدية بدراسة الآثار من الخارج و التركيز على مراجعها و مصادرها إلى دراسة النصوص من الداخل و غض النظر من ظروف تكوينها و التركيز على النصوص في ذاتها ثورة في النقد الأدبي في القرن العشرين و كان الشكلاونيون الروس من رواد هؤلاء النقاد و الدارسين الذين رفضوا اعتبار الأدب نقلا لحياة الأدباء أو تصويرا للبيئات و العصور أو صدى للنظريات الفلسفية و الدينية و دعوا إلى البحث عن الخصائص التي تحدث أثرا ، أثرا ادبيا أو بعبارة أخرى أدبية الأدب ، فاكسب النقد الأدبي استقلالا و انعزل عن الاتكال على التاريخ و علم الاجتماع و علم النفس و أمثالها كما كان في النقد التقليدي (عزام ، ٢٠٠٣ ، ص ١٥٤) فظهرت خلال القرن الماضي مدارس نقدية و اتجاهات أدبية على منطلقات الألسنية و مبادئها و مناهجها مثل الشكلاونية الروسية ، النقد الحديد ، البنيوية و غيرها (صفوي ، ١٣٨٣ ، ص ٥٠ - ٧٠ و علوي مقدم ، ١٣٧٧ ، ص ١٥٤ - ١٧٣) فتحولت دراسة الأسلوب بفعل البحوث و النظريات اللسانية الحديثة و صارت علما مستقلا يدعى الأسلوبية stylistics . الاسلوبية ذات جوانب متعددة فنفرض في هذا المقال لجانب منها و هي دراسة تنوع المفردات في الاسلوب على ما قام به «جونسون» من احصاء المفردات .

الاسلوبية:

هذا العلم و هو فرع من اللسانيات العامة بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنيوية لانتظام جهاز اللغة و هي دراسة حديثة هدفها دراسة خصائص الأسلوب و اتجاهاته و لها تيارات و مناهج (التوبجي ، ٢٠٠٣ ، ص ٤٣ و ٤٤) كان بالي و هو مؤسس هذا الاتجاه قائلا بأن الأسلوبية دراسة العوامل المؤثرة في اللغة و لهذا توسع في المفهوم فشمّل كل ما يتعلق باللغة من أصوات و صيغ و كلمات و

تراكيب و تداخل مع علم الأصوات و الصرف و اللفظة و الدلالات و التراكيب (عبدالنور، ١٩٨٤، ص ٢٠ و ٢١) و لهذا يحاول الاختصاصيون تحليل الأسلوب مستخدمين التقنيات الألسنية لدراسة الخصائص الأسلوبية لسلأدب أو الأدباء أو المدارس الأدبية أو عصر خاص و من هذه الخصائص : موسيقى المفردات ، إيقاع أبنية الجمل ، العناصر البلاغية ، صور الخيال و ... (ميرصادي، ١٣٧٧، ص ١٦٧)

« تبحث الأسلوبية عن الخصائص الفنية الجمالية التي تميز النص عن آخر أو الكاتب عن كاتب آخر من خلال اللغة التي إستخدامها و تحاول الإجابة عن هذا السؤال : كيف يكتب الكاتب نصا من خلال اللغة ؟ و هي بوجه عام تدرس النص و تقرؤه من خلال لغته و ما تعرضه من خيارات أسلوبية على شتى مستوياتها : نحويا و لفظيا و صوتيا و شكليا » (بلوحي، ٢٠٠٤، ص ٥) و أخذت الأسلوبية الصفة العلمية الوصفية من اللسانيات في دراستها للنصوص من خلال لغتها و أصبح منها علميا يدرس الخطاب ككل بعيدا عن الدراسة المعيارية الحكمية كما كانت تفعل البلاغة القديمة (بلوحي، ٢٠٠٤، ص ٦ و ٧)

و« هي تعني بالنص وتجعله محور اهتمامها، خلافاً للمناهج النقدية التي تتخذ وسيلة إلى غاية خارجية قد تتعلق بالظروف التاريخية أو المعطيات النفسية والاجتماعية، أو سواها مما قد يتصل بالمؤثر لا بالأثر في ذاته ؛ ولذا يرى أحد الباحثين أن النقد الأسلوبي هو نقد جدير بصفته العلمية ؛ لأنه يركز على دراسة النص في ذاته؛ ذلك من خلال التركيز على مكونات النص الأسلوبية ، وتحديد علاقتها فيما بينها، وتحديد وظائفها الأسلوبية والجمالية » (بوحيون، ٢٠٠٢، ص ٢)

يجب أن ننتبه هنا إلى أن الأسلوبية ليست بديلاً عن النقد الأدبي بل تعتبر اتجاهًا من اتجاهاته و بعض التشذيب عليه : « تمّ استخدام " الأسلوب " مصطلحاً نقدياً على نطاق واسع طيلة قرون، وغالباً ما اقتصر ذلك على طريقة انطباعية نسبياً، في محاولة لجذب الاهتمام ناحية ميزات الاستخدام اللغوي أو غرابته في نصّ أدبي محدّد، أو لدى مؤلّف معيّن، أو في مرحلة محدّدة. بيد أن الأسلوبية الحديثة محاولة لمقاربة قضية الأسلوب نقدياً في سطور أكثر دقة وأكثر منهجية، وليست فرعاً من فروع المعرفة بذاتها، بل هي أشبه بمعبر يوصل بين علم اللسانيات، الذي يعتبر النصوص الأدبية مجرد مادة مستقلة تُثير الاهتمام في الدراسة المتعمّقة للغة وبين النقد الأدبي » (جيفررد ، ٢٠٠٥ ، ص ١) ويشتمل المنهج الأسلوبي على خمسة اتجاهات :

- ١ - الأسلوبية الصوتية ٢ - الأسلوبية الوظيفية ٣ - الأسلوبية التعبيرية ٤ - الأسلوبية النحوية ٥ - الأسلوبية الإحصائية (سبيلي ، ٢٠٠٥ ، ص ٤٥)

من أبرز الخواص الدالة على أسلوب شاعر أو ناثر ، المعجم اللغوي الذي يستخدمه في آثاره ومع أن مصطلح المعجم الشعري Poetic Diction هو أكثر شيوعاً على ألسنة النقاد ، لكننا يجب أن ننتبه إلى هذه النقطة أن مثل هذا المعجم لا يختص بالشعراء دون الكتاب ؛ بل لكل أديب ، شاعر أو كاتب ، معجم لغوي يستغله في صياغة كتاباته و آثاره ليوصل رسالته The Message أو خطابته الأدبي The Literary Discourse . إذن فحص الثروة اللفظية Vocabula Richness في النصوص الأدبية يدلنا على استبانة واحد من أهم الملامح المميزة للأسلوب ، إذ إن المفردات و الألفاظ المستخدمة في صياغة النصوص ، هي بمثابة اللبنة التي يستخدمها الباني لإقامة بنيته . و هذه الثروة تدل أيضاً على شخصية الأديب و تفرده بين الآخرين .

وهناك نقطة لطيفة يجب أن نتنبه إليها و هي أننا عندما نتحدث عن المعجم اللغوي للأديب يجب أن نعلم هناك معجمان في الحقيقة لا معجم واحد : المجموعة اللغوية التي يعتبر من مخزون الأديب الثقافي ، و المجموعة اللغوية التي يستخدمها في كتاباته فعلا . لأن كمية اللغات التي يدخرها الأديب في ذهنه أكبر بكثير من الكمية التي يستخدمها في كتابة نصوصه .

و في هذا المجال ، قمنا الكمية التي يستخدمها الأديب و نفحصها لنصل الى نتيجتين هامتين :

أولاً: فحص الثروة اللفظية لكل أديب ، يساعدنا على معرفة جانب هام من جوانب أسلوبه الأدبي .

ثانياً: يمكن لنا عن طريق المقارنة بين الثروة اللفظية لإثنين أو أكثر من الأدباء ، نصل الى التمايز بين أساليبهم الإنشائية .

و يجب أن نشير هنا الى نقطتين: هناك عدة مؤشرات في الثروة اللفظية ، يمكن الإقامة بفحصها و مقارنتها في الدراسات الأسلوبية ؛ و فحص تنوع المفردات Vocabulary Deversification يعتبر واحداً من هذه المؤشرات ، التي نقوم بفحصها في هذا المجال و يمكن للباحث أن يقوم بالدراسات الأسلوبية عن طريق دراسة كيفية استخدام الأفعال و الجمل و أنواعها و . ليصل الى عدة جوانب في الإمام بشتى الخواص الأسلوبية للشعراء و الكتاب . اذن هناك مجال فسيح جداً أمام الباحثين .

و النقطة الأخرى الصالحة للإنتباه، أننا لا نقوم بدراسة الإنتاجات الأدبية لشاعر أو كاتب برمتها، و لا يشتمل كل نصوصه، بل ندرس كمية معينة من كتاباته ، ولهذا الأحكام التي نصل إليها هي أحكام نسبية و ليست بمطلقة .

تقوم هذه الدراسة على استخدام معطيات علم الإحصاء لنصل الى نتائج علمية و دقيقة و التجنب عن إصدار أحكام كلية و مبهمة دون تبرير علمي مقنع ؛ لهذا نرمي الى تقديم عرض نظري لإحدى الطرق الإحصائية المستخدمة في قياس خاصية تنوع المفردات مع دراسة تطبيقية لنماذج من النصوص النثرية العربية .

محاور البحث:

- ١- تحديد العينات التي أجري عليها البحث .
- ٢- عرض للمقياس و طريقة تطبيقه على العينات .
- ٣- طرق حساب نسبة التنوع .
- ٤- نتائج القياس .



العينات:

تقوم هذه الدراسة بفحص خاصية تنوع المفردات لنماذج محددة من كتابات ثلاثة من أعلام النثر العربي المعاصر: محمد مندور و سيد قطب و محمد غنيمي هلال . فآثرنا هؤلاء الكتاب لأسباب تالية :

أولاً: معظم الدراسات و البحوث الأدبية ، تقتصر على مجال النصوص الشعرية و أساليب الشعراء بينما لم تحظ النصوص النثرية و أساليب النثرين ، بقدر مماثل من العناية من قبل الباحثين مع أن النثر العربي قد تقدم و تطور كثيراً منذ عصر النهضة بفضل الروافد الغربية و نشاهد إغناء المكتبة الأدبية العربية بكثير من النصوص النثرية المتنوعة، التي لم تكن معروفة في أطر حديثة- هذه الأساليب و الطرائق و التيارات التي نعرفها اليوم - في الأدب القديم ، كالأدب القصصي بشتى فروع و النقد الأدبي و تاريخ الأدب و الآداب المقارنة.

ثانيا: تشكو مكتبة الدراسات الأدبية من ندرة البحوث التي تهتم بدراسة أساليب الكتاب و الناثرين - بغض النظر من محتواها - و هذا الأمر مجلبة لإختصاص دراسات خاصة للإهتمام بهذا الجانب .

ثالثا: أكثر الأحكام التي تصدر في مجال الأدب ، تفتقر الى الدقة العلمية و التبرير العلمي و تتصف بالذاتية و الشمول و الإهمام و عدم تحديد المدلول تحديدا علميا دقيقا. و لهذا نستعين بمعطيات علم الإحصاء لتجنب الأحكام الكلية و الذاتية و نصل الى أحكام تدعمه الدقة العلمية .

و العينات الثلاث في هذا البحث هي :

١ - ثلاثة الآلاف الأولى من كتاب النقد الأدبي أصوله و مناهجه لسيد

قطب ، (الطبعة السادسة لدار الشروق في بيروت ، ١٩٩٠م)

٢ - ثلاثة الآلاف الأولى من كتاب النقد الأدبي الحديث لمحمد غنيمي هلال

(الطبعة الثالثة لدار الثقافة في بيروت ، ١٩٧٣م)

٣ - ثلاثة الآلاف الأولى من كتاب النقد و النقاد المعاصرون لمحمد مندور

(دار المطبوعات العربية ، د.ت)

كما يظهر ، اخترنا من كل كاتب ، ثلاثة آلاف كلمة في مجال النقد الأدبي - مع أن تشابه الموضوع ليس شرطا أساسية لصحة قياس تنوع المفردات بل شرط تحسيني - و أجرينا البحث على تسعة آلاف كلمة من كتابات هؤلاء الناثرين .

و في تحديد مدلول « كلمة » ، أعتمدنا على مستوى اللغة المكتوبة و التقاليد الإملائية المتبعة في تحديد إطار « الكلمة » و هي: « مجموعة من الحروف المتصلة خطأ و التي يفصل بينها و بين ماسواها فراغ أوسع نسبيا من كلتا الجهتين »

(مصلوح ، ١٩٨٠م ، ص ١٥٣)

القياس

هناك عدة طرق إحصائية لقياس خاصية تنوع المفردات ، و من أهمها طريقة «و جونسون» W Johnson وهي تعتمد على « إيجاد نسبة لتنوع المفردات في النص أو في جزء منه إذا ما حسبنا فيه النسبة بين الكلمات المتنوعة (أي المختلفة بعضها عن بعض) و المجموع الكلي للكلمات المكونة له و يطلق جونسون على الكلمات المتنوعة مصطلح « الأنواع » Types و على المجموع الكلي للكلمات مصطلح « الكل » Tokens و من ثم يطلق على نسبة التنوع Type-token ratio (و تختصر عادة الى TTR). (مصلوح ، ١٩٨٠م ، ص ١٥٤)

في هذا الطريق، نُدخل كل كلمة مرة واحدة في الحسبان فقط و لاهتم بها - فيما عدا هذا- في الإحساب مهما تكررت، لأننا نريد أن نصل في النهاية الى كلمات وردت في النص مرة واحدة، لنصل الى تنوع المفردات و لهذا لاهتم بتكرارها مهما كثرت .

خطوات تنفيذ البحث

للتوصل الى نسبة الكلمات المتنوعة في هذه العينات الثلاثة ، خطونا خطوات تالية:

١- تقسيم كل عينة (و تتكون من ثلاثة آلاف كلمة) الى ثلاثين جزءا (وكل جزء يتكون من مائة كلمة)

٢- رسم تسعين جدولا (لكل عينة ثلاثين جدولا)

٣- تفريغ العينة كلها في هذه الجداول ، حيث يشتمل كل جدول على مائة كلمة

٤- تنفيذ عملية حصر الكلمات المتنوعة في مرحلتين:

المرحلة الأولى: حصر الكلمات المتنوعة في كل جدول على حدة ، عن طريق مراجعة كل كلمة واحدة تلو أخرى و إدخال كل كلمة جديدة في الحساب و شطب كل كلمة متكررة حتى نصل الى الكلمات المتنوعة في كل جدول . نتيجة هذه العملية، هي التوصل الى ثلاثين عددا لكل عينة تبين الكلمات المتنوعة لكل جدول دون سائر الجداول . و في هذه المرحلة نشطب كل كلمة في كل خانة بهذه العلامة: (/)

و فضلاً عن ذلك، نحتاج الى التوصل الى عدد الكلمات المتنوعة في مستوى العينة برمتها لا في مستوى كل جدول فقط ، ولهذا أقمنا بعملية شطب ثانية في مستوى كل العينة:

المرحلة الثانية: مراجعة كل كلمة لم تشطب في الجدول الأول على جميع الكلمات الباقية في سائر الجداول لشطب أي كلمة متكررة ، و هكذا نعمل لكل الكلمات في كل الجداول حتى نحذف في النهاية كل التكرارات و يبقى من كل كلمة، مرة واحدة من الورود و نشطب أي تكرار في أي جدول سواها . نتيجة هذه العملية ، ثلاثون عددا تبين الكلمات التي وردت في الخانات الباقية ، مرة واحدة فقط - (لأننا شطبنا التكرارات) - في مستوى العينة برمتها . في هذه المرحلة نشطب كل كلمة بهذه العلامة: (\) كي نميز الكلمات المشطوبة في المرحلة الأولى من الكلمات المشطوبة في المرحلة الثانية ، بسهولة و سرعة .

ولتضمن دقة عملية الحصر و التجنب من الخطأ (خطأ البصر) قمنا برسم تسعين جدولاً إحتياطية ، فبعد تنفيذ عملية الشطب للمرحلة الأولى ، نتقل بالكلمات الباقية الى الجدول الإحتياطي لنقوم بعملية للشطب للمرحلة الثانية فيه ، فنضمن دقة الحصر من جهة و نسهل عملية الشطب للمرحلة الثانية من جهة

أخري ، لأننا لم نكتب الكلمات المشطوبة - في المرحلة الأولى - في جداول الإحتياط ، بل كتبنا الكلمات الباقية و هكذا يسهل علينا حصر هذه الكلمات غير مشطوبة من جهة و يسهل علينا عملية الشطب للمرحلة الثانية و حصر الكلمات النهائية لها .

معيار التكرار

ليست هناك معايير و شروط محتومة و واجبة لتحديد مفهوم التكرار في هذا المجال و هذا الأمر يتوقف الى حد كبير الى رأي الباحث (المدعوم بالدليل) و هذه الشروط التي إعتمدنا عليها لا تلزم غيرنا و لكن على الباحث أن يلتزم في بحثه بالمعايير التي اختار لنفسه حتى لا يحدث اضطراب و فوضى في عمله .
في بحثنا هذا ، اعتمدنا على هذه المعايير للوصول الى نتائج أكثر دقة و اعتباراً:

- ١- اعتبرنا « الفعل » كلمة واحدة مهما اختلف صيغه بين الماضي و المضارع و الأمر و المفرد و المثنى و الجمع و المذكر و المؤنث .
- ٢- لم نعتبر اختلاف صيغ الأسماء بين المفرد و المثنى و الجمع ، ككلمات متنوعة إلا اذا كان لفظ المثنى أو الجمع من غير لفظ المفرد.
- ٣- لم نعتبر اختلاف الإسم تذكيراً و تأنيثاً إلا اذا كان المؤنث من غير لفظ المذكر .
- ٤- اعتبرنا تعدد صيغ الجمع ككلمات متنوعة .
- ٥- اعتبرنا الكلمات الملحقمة بحرف « ياء النسبة » و « ياء » للمصدر الصناعي ، ككلمات متنوعة علاوة على أصلها ، مثلاً كلمات : رمز - رمزي - رمزية ، اعتبرناها ثلاث كلمات متنوعة .

- ٦- اعتبرنا المعاني المختلفة (المعنى المعجمي) معيارا للتنوع .
- ٧- لم نعتبر السوابق و اللواحق التي تلصق بالكلمة الرئيسية ، معيارا للتنوع ،
مثلا كلمات: هذا- بهذا - لهذا ، فيما - بما - لما، له - لك - لنا -
اعتبرناها ثلاث كلمة و لم نهتم بملحقاتها .
- ٨- اذا اختلفت صيغ الأفعال بين المجرى و المزيدي و أبوابه ، اعتبرنا كل واحد
منها كلمة متنوعة مختلفة.
- ٩- اعتدنا بالمصادر و المشتقات ككلمات متنوعة مهما توحدت الجذور .
- ١٠- في الأسماء الإشارة و الموصول، لم نعتد بالتذكير و التأنيث و لا بالعدد
مثلا: الذي - التي ، اعتبرناها كلمة واحدة أو كلمات هو- هما- هي
، اعتبرناها ككلمة واحدة .
- طرق حساب النسبة**
- في منهج جونسون، هناك أربعة طرق لحساب نسبة تنوع المفردات، و هذه
الطرق الأربعة - مع أن كل واحد منها مفيدة للوصول الى النتائج المطلوبة -
اعتمدنا عليها برمتها لتوصل الى نتائج تنصف بدقة علمية أكثر .
- الطريقة الأولى: إيجاد النسبة الكلية للتنوع Over - All TTR
- « و فيها تحتسب نسبة التنوع على مستوى النص أو العينة بكاملها و
يتطلب حساب النسبة بهذه الطريقة حصر الكلمات المتنوعة في النص كله و قسمة
عددها على الطول الكلي مقدارا بعدد الكلمات المكونة للنص » (مصلوح ، ١٩٨٠ م
ص ١٥٨)
- الطريقة الثانية: إيجاد القيمة الوسيطة لنسبة التنوع The Mean Segmental TTR
في هذه المرحلة نخطو خطوات تالية:

- ١ - تقسيم النص أو العينة الى أجزاء متساوية الطول
- ٢ - حساب نسبة الكلمات المتنوعة الى المجموع الكلي لكلمات كل جزء على حدة

٣ - أخذ القيمة الوسيطة لقيم نسبة التنوع في الأجزاء المختلفة وذلك يجمع هذه القيم ثم قسمتها على عدد الأجزاء المكونة للنص (مصلوح ، ١٩٨٠ م ، ص ١٥٩)

(في الحقيقة في هذه المرحلة ، نقوم بعملية الحساب باستخدام الأعداد التي حصلنا عليها في المرحلة الأولى من الشطب)

الطريقة الثالثة : إيجاد منحنى تناقص نسبة التنوع

The Decremental TTR Curve

تتكون هذه الطريقة من خمس مراحل :

- ١ - تقسيم النص الى أجزاء متساوية الطول .
- ٢ - حساب النسبة في الجزء الأول من النص و ذلك بحصر الكلمات المتنوعة و قسمة عددها على المجموع الكلي لكلمات الجزء .
- ٣ - حصر الكلمات المتنوعة في الجزء الثاني من النص دون أن يُدخل فيها أي كلمة سبق ورودها في الجزء الأول .
- ٤ - إيجاد النسبة في الجزء الثاني بقسمة عدد الكلمات المتنوعة التي تم حصرها على المجموع الكلي لكلمات الجزء الثاني فقط .
- ٥ - تتبع نفس الطريقة مع الجزء الثالث و سائر الأجزاء الى آخرها . (م . ن)

الطريقة الرابعة: إيجاد منحنى تراكم نسبة التنوع The Cumulative TTR Curve

تشتمل هذه الطريقة على خمس مراحل:

- ١ - تقسيم النص الى أجزاء متساوية الطول .
- ٢ - إيجاد النسبة بين الكلمات المتنوعة و المجموع الكلي لكلمات الجزء الأول .
- ٣ - بالنسبة للجزء الثاني يتم إيجاد النسبة بين الكلمات المتنوعة - والتي لم يسبق لها أن ظهرت في الجزء الأول - وبين المجموع الكلي لكلمات هذا الجزء فقط .

٤ - نقوم بجمع عدد الكلمات المتنوعة في الجزء الأول الى عدد الكلمات المتنوعة في الجزء الثاني ثم نحصل على نسبة التراكم بقسمة حاصل جمعها على المجموع الكلي في الجزئين معا .

٥ - نسبة التراكم في الجزء الثالث تساوي حاصل جمع عدد الكلمات المتنوعة في الأجزاء الثلاثة مقسوما على الطول الكلي للنص (مقدرا بعدد الكلمات المكونة للأجزاء الثلاثة) و هكذا تنتهي جميع الأجزاء المكونة للنص . (مصلوح ، ١٩٨٠ م ، ص ١٦٠)

جدول (١): نموذج جدول التفريغ

قياس جونسون لاختبار تنوع المفردات في النص

مصدر النص: النقد و النقاد المعاصرون المؤلف : محمد مندور رقم الجدول : ١

هذه	مجموعة	من	الأبحاث	خصصت	كل	واحد	منها	بناقد	من
نقادنا	العرب	المحدثين	منذ	عصر	النهضة	الأدبية	التي	البتدأت	في
عالمنا	الربي	في	اواخر	القرن	الماضي	بالعودة	إلى	توأما	العربي
القديم	بعد	أن	استعنا	البدء	في	نشره	بفضل	فن	الطباعة
الحديث	الذي	كانت	مطبعة	بولاق	الأميرية	رائدته	الكبيرة	و من	المؤكد

قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب: (دراسة تطبيقية لمناذج من كتابات محمد مندور و سيد قطب و محمد غنيمي هلال) / ١٢١

أنه	لم	يكن	بمجرد	مصادفة	معاصرة	شاعر	البعث	الكبير	محمد
سامي	البارودي	للشيخ	حسين	المرصفي	الذي	عاد	هو	الأخر	إلى
منابع	النقد	الشعري	القيمة	ليبعث	أصول	هذا	الكن	القوية	على
نحو	ما	بعث	البارودي	ديباجة	الشعر	العربي	القصم	الناصرة	القوية
ولما	كان	فن	القصيدة	الشعرية	أو	ما	يسميه	الأوروبيون	بفن

No of types: 74

TTR: 0.74

No of tokens: 100

نتائج القياس

سجلنا في مجموعة الجداول و الرسوم البيانية التالية ، النتائج التي وصلنا إليها بعد تنفيذ مراحل الشطب الأولى و الثانية و استخدام الطرق الإحصائية الرنفة الذكر .

جدول (١): النسبة الكلية للتنوع في العينات الثلاث

النسبة الكلية للتنوع	الكاتب
0.3	محمد مندور
0.27	سيد قطب
0.25	محمد غنيمي هلال

جدول (٢): نسبة التنوع باستخدام القيمة الوسيطة في العينات الثلاث

(كل عينة مقسمة الى ٣٠ جزءا في ٦ مجموعات و تتكون كل مجموعة من ٥٠٠ كلمة)

القيمة الوسيطة	6	5	4	3	2	1	الكاتب
0.73	0.76	0.72	0.76	0.73	0.72	0.72	محمد مندور

0.69	0.72	0.69	0.71	0.69	0.67	0.69	سيد قطب
0.67	0.68	0.66	0.68	0.68	0.64	0.69	غنيمي هلال

جدول (٣) :نسبة تناقص التنوع

(كل عينة مقسمة الى ٦ أجزاء و كل جزء يتكون من ٥٠٠ كلمة)

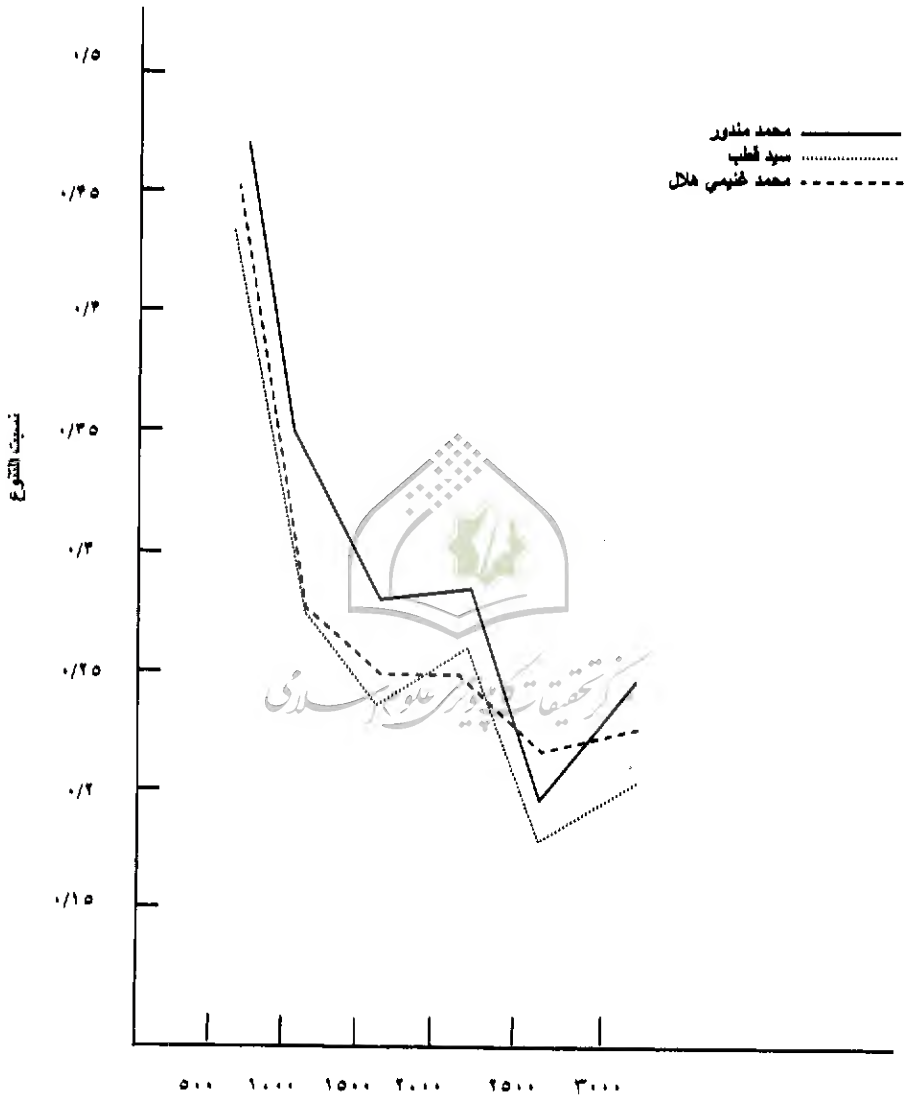
الكاتب	1	2	3	4	5	6
محمد مندور	0.47	0.36	0.29	0.28	0.19	0.24
سيد قطب	0.45	0.26	0.23	0.25	0.21	0.23
غنيمي هلال	0.44	0.26	0.22	0.25	0.17	0.2

جدول (٤) :النسبة التراكمية للتنوع في العينات الثلاث

(كل عينة مقسمة الى ٦ أجزاء و كل جزء يتكون من ٥٠٠ كلمة)

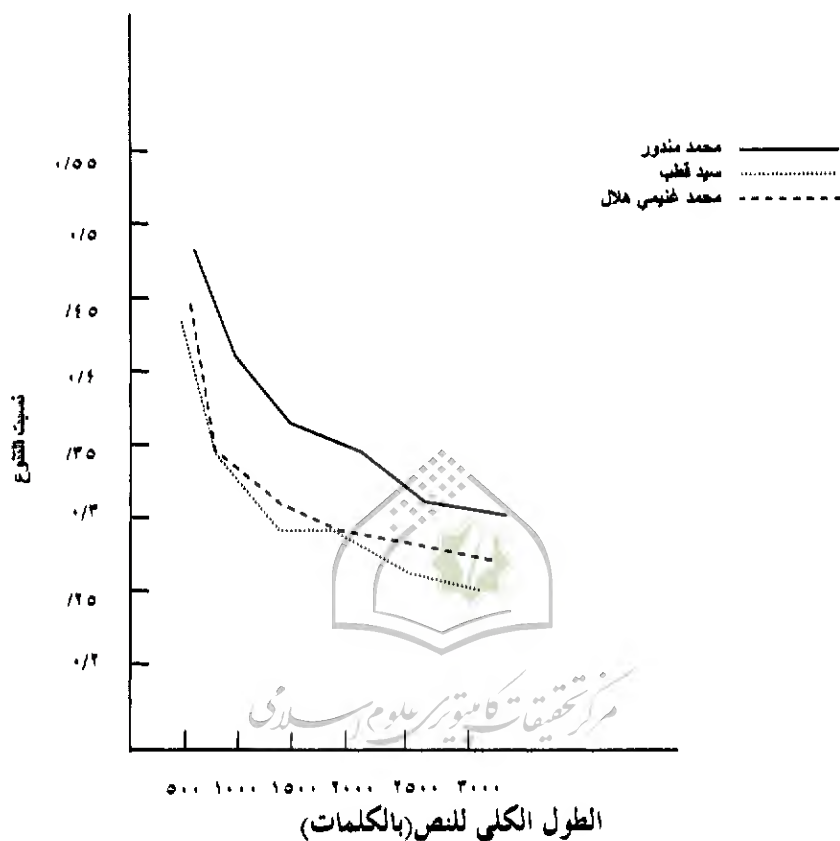
الكاتب	1	2	3	4	5	6
محمد مندور	0.47	0.41	0.37	0.35	0.31	0.3
سيد قطب	0.45	0.35	0.31	0.29	0.28	0.27
غنيمي هلال	0.44	0.35	0.3	0.29	0.26	0.25

شكل (١) منحني نسبة التناقص في العينات الثلاث



الطول الكلي للنص (بالكلمات)

شكل (٢) منحني نسبة التراكم في العينات الثلاث



نتيجة البحث:

في نهاية هذا البحث رأينا أن محمد مندور بالنسبة الى الكاتبين الآخرين هو أشد تنوعا في أسلوبه الإنشائي (0.3) و يجيء سيد قطب في المرتبة الثانية بعده (0.27)، ثم يأتي محمد غنيمي هلال في المرتبة الثالثة (0.25). جدير بالذكر هنا أن دلالة النسبة الكلية على التنوع صحيحة إذا توافر فيها شرطان :

أولا : أن تكون أطوال العينات التي هي موضوع المقارنة ، متساوية

ثانيا : أن نعرف بالضبط الطول الكلي للعينه (مصلوح ، ١٩٨٠ م، ص ١٦٦)

و قد توافر في بحثنا هذا ، الشرطان في العينات التي درسناها فحددناها بثلاثة آلاف كلمة لكل عينة فالنتائج التي وصلنا إليها صحيحة في إطار المادة المختارة و الشروط المطبقة عليها . و يشهد على صحة هذه النتائج أن قياس الخاصية عبر استخدام الطرق الأخرى أدى بنا إلى نفس النتائج . فالقيمة الوسيطة للتنوع في أسلوب محمد مندور (0.73) و في أسلوب سيد قطب هي (0.69) و عند محمد غنيمي هلال (0.67)

يوضح الشكلان ١ و ٢ كثيرا من خصائص أسلوب الأعلام الثلاثة و في نفس الوقت يبين لنا جانباً من طبيعة القياس ؛ و هو إحدى الصعوبات التي يواجهها الباحث في هذا المضمار إذ إن « معدل الزيادة في عدد الكلمات المتنوعة أقل بكثير من معدل الزيادة في المجموع الكلي للكلمات المكونة للنص ، لأن احتمال تكرار الكلمات يزيد بتزايد طول النص حتى إن الأجزاء منه قد تتشكل في الأعم الغالب من كلمات سبق ورودها و تتضائل الفرصة أمام الكلمات الجديدة للظهور » (مصلوح ، ١٩٨٠م ، ص ١٦٦) و هذه ظاهرة عامة سائدة على علاقة بين الكلمات المتنوعة و المجموع الكلي لكلمات النصوص . نرى أن الاتجاه العام للمنحنيات في الشكلين ١ و ٢ واحد مع أساليب كل من مندور و سيد قطب و غنيمي هلال ؛ فهي جميعاً تبدأ بقيمة عالية ثم تتجه نحو الانحدار بينما نشاهد اختلافاً ملحوظاً بين محمد مندور و الكاتبين الآخرين في درجات الانحدار حيث نرى المنحنيين الممثلين لأسلوب سيد قطب و غنيمي هلال أكثر انحداراً من المنحنى الخاص بأسلوب محمد مندور . و يرتبط ذلك كله بنتائج قياس نسبة التناقص (أنظروا الشكل ١ و الجدول ٤) و قياس نسبة التراكم (أنظروا الشكل ٢ و الجدول ٥) نرى farkاً ملحوظاً بين نسبة التنوع في أسلوب محمد مندور و أسلوب

الكاتبين الآخرين : سيد قطب و غنيمي هلال . بينما الفارق بين سيد قطب و غنيمي هلال قليل جدا .

و نؤكد هنا على أن الوصول إلى هذه النتائج لاتعني ذمًا أو مدحا بشأن أساليب هؤلاء الكتاب بل هي في الحقيقة تعني دراسة أساليبهم وفق أحد مناهج الأسلوبية و إخضاع أسلوب ثلاثة من الكتاب لمعيار إحصائي . من الجدير بالذكر أنه لايمكن تمييز أسلوب كاتب أو شاعر إلا باستخدام المعايير الإحصائية على نحو متكامل حيث يتم تطبيق طاقم كبير و متعدد من المقاييس التي تمكننا من دراسة شتى جوانب الخواص الأسلوبية .



مركز تحقيقات كاتبة في علوم أدبي

المصادر و المراجع:

- ١- بلوحي ، محمد ، الأسلوب بين التراث البلاغي العربي و الأسلوبية الحديثة ، دمشق، التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب بدمشق ، السنة الرابعة و العشرون ، العدد ٩٥ ، أيلول ٢٠٠٤ م.
- ٢- بوحسون ، حسين ، الأسلوبية و النص الأدبي ، الموقف الأدبي ، دمشق، اتحاد الكتاب العرب ، العدد ٣٧٨ ، تشرين الأول ٢٠٠٢ م.
- ٣- التونجي ، محمد ، معجم علوم العربية ، ط ١ ، بيروت ، دارالجيل ، ٢٠٠٣ م.
- ٤- جيفورد ، هنري ، النقد الأحداث من الحديث الأسلوبية و النيويسية ، ترجمة موسى عاصي ، الآداب الأجنبية ، دمشق، اتحاد الكتاب العرب ، العدد ١٢١ ، شتاء ٢٠٠٥ م.
- ٥- السقيلي ، أسماء ، المنهج الأسلوبي دراسة موجزة ، موقع رابطة رواء للأدب الإسلامي و لغة القرآن ، ٢٠٠٥ م. www.ruowaa.com
- ٦- صفوي ، كورش ، از زبان شناسي به ادبيات ، ج ٢ ، شعر، ير ١ ، قرآن ، سورة مهر ، وابسته به حوزه هنري سازمان تبليغات اسلامي ، ١٣٨٣ ش.
- ٧- عبدالنور ، جبور ، المعجم الأدبي ، بيروت ، دارالعلم للملايين ، ١٩٨٤ م.
- ٨- عزام ، محمد ، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج الحديثة ، ط ١ ، دمشق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ٢٠٠٣ م.
- ٩- علوي مقدم ، مهيار ، نظريه هاي نقد ادبي معاصر ، ير ١ ، قرآن ، سمت ، ١٣٧٧ ش.
- ١٠- غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، ط ٣ ، بيروت ، دارالثقافة ، ١٩٧٣ م.

١١- قطب ، سيد ، النقد الأدبي أصوله و مناهجه ، ط ٦ ، بيروت ، دارالشرق ، ١٩٩٠ م.

١٢- محمد يونس علي ، محمد ، مدخل إلى اللسانيات ، ط ١ ، بيروت ، دارالكتاب الجديد المتحدة ، ٢٠٠٤ م.

١٣- مصلوح ، سعد ، قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة ملك عبدالعزيز ، السعودية ، رقم ١ ، ١٩٨٠ م .

١٤- مندور، محمد ، النقد و النقاد المعاصرون ، د. ط ، دار المطبوعات العربية ، د. ت .

١٥- ميرصادقي ، جمال و ميمنت ميرصادقي (ذوالقدر) ، واژه نامه هنر داستان نویسی (فرهنگ تفصیلی اصطلاح های ادبیات داستانی) ، ١ ، تهران ، کتاب مهناز ، ١٣٧٧ ش.

Evaluation and Comparison of Vocabulary Diversity in the Writings of Mohammad Mandour, Sayyed Qotb and Mohammad Ghoneimy Helal

An Applied Study of Samples from the Writings of Mohammad Mandour
Sayyed Qotb and Mohammad Ghoneimy Helal

Houman Nazemyan, University student in PhD, Arabic Language and
Literature, Tarbiat Modarres University

Literary and critical studies, influenced by new linguistic studies and linguists' attempts, have developed at the end of 19th and beginning of 20th centuries. In this context, the notion of studying literary styles became an independent branch of science called stylistics. It uses principles and bases of linguistics to systematically study and analyze literary styles.

Since the most important feature of stylistics is the scope of vocabulary and word richness of writer and poet, searching and evaluating this scope and richness is one of those parameters which can be used to analyze literary styles systematically and scientifically. In this context, researchers have lots of options, and there are various methods, too. One of these methods is to study the vocabulary diversity in writer's style. This article deals with a comparative study on the writings of Mohammad Mandour, Sayyed Qotb and Mohammad Ghoneimy Helal, using a statistical method, attributed to Johnson.

Key words: Literary Studies, Stylistics, Linguistic Methods, Vocabulary Diversity

The History of Punctuation; the Role of Romans, Indians, and Iranians in its Innovation and Reform

Dr.Mahdi Momtahn

Punctuation has a firm connection with speaking, writing and reading, so western historians and linguists, who are not a few, have laid emphasis on it, because punctuation influences the style, structure of sentences and styles, the way of speaking and thinking.

Punctuation is almost a common feature of all languages. It helps us avoid the mistakes in writing, speaking and understanding, read the text well, make our speech beautifully understood, and make our communication correctly. Its absence, sure, will confuse the process of conveying message and understanding. Due to its importance and to reach above- mentioned aims, it is necessary to study the history of punctuation. Therefore, the present article is to explain the role of Romans, Indians and finally Iranians in its innovation and reform.

Key Words: Punctuation, Writing, History, Romans, Indians, Iranians.

Semantic Change of the Word "Adab"

Dr. Ali Reza Mohammad Rezaii, Assistant Professor of Tehran University,
Qom Campus

Alieh Sadat Wasely, MA Student of Arabic Language and Literature,
Tehran University

The word "Adab" and its semantic change are important issues which semanticists have always been studying. In this article all attempt is to explain the root of "Adab" and to clarify ambiguities about it. Moreover, semantic change is discussed, from pre-Islamic period up to now. This article also talks about the important causes of semantic development of "Adab".

Key words: 'Adab, "Da'b", Change, Causes, Periods.

The Issue of Synonymity; Its Supporters and Opponents

Dr. Hamed Sedqhy, Assistant Professor, Tehran Teacher Education
University
Tayyebbeh Seify, MA of Arabic Language and Literature

Synonymity is one of the important linguistic phenomena, because the relationship between words and meaning is influential in people's communication. Synonymity, moreover, is one of the linguistic phenomena prevalent in most living languages. If one opens an old or new Arabic or a non-Arabic dictionary, he will sure face with synonyms.

Arabic, too, is one of those languages that has been under the influence of this linguistic phenomenon and even it can be said that has been distinguished from other languages due to it, to the extent that as if it has become an inseparable attribute of Arabic language.

However, the view and approaches of Arab researchers and linguists, and their statements about this phenomenon and its nature and true existence are different, as those books including these words lack proper methods and organizations. Because of this, synonym words turn into a linguistic phenomenon which reserves study. This article studies synonymity from different views such as lexical, expressional, historical transformations, studying the view points of traditional and modern researchers and philologists and finally the positive and negative consequences of synonymity.

Key words: Arabic Lexicon, Synonymity.

Political Commitment and Obligation in the Poems of Ma'arof Al-Rassafy

Dr. Mansoor Zarkoob, Assistant Professor, Isfahan University

Dr. Mahmood Reza Tavakkoly, Assistant Professor, Qom University

Ma'arof Al-Rassafy, contemporary Iraqi poet was born in 1875 in Baghdad and died in 1945. He finished his elementary education in old fashioned primary schools and a primary school in Baghdad. After finishing his primary level, entered Al-Roshdyeh, a military school, but did not get his diploma. Then he became a pupil of Allameh Aloosy and teacher of seminaries. After that, he entered governmental occupations but resigned from them after some time. Therefore, he had an agitated life full of changes and chaos.

Rassafy has witnessed three periods in his political life: Ottoman Empire, British occupation and puppet governments. During Ottoman Empire, although he did not oppose the government, fought against the despotism of Sultan Abdul- Hamid and provoked people against him. His joy was completely clear after the collapse of Ottoman Empire and declaration of constitution, although he believed in the reform of Ottoman Empire, rather than its collapse. When British occupiers entered Iraq, he opposed and threatened them by his poems. After establishing puppet governments in Iraq, he demonstrated his opposition with them. He believed that these governments were apparently national but actually under the influence of foreign states. In his poems he has defended Orient and in general oriental nations, especially Muslims.

This article proceeds with his political views and insights about these changes and explains his views using his poems and others' views.

Key words: Rassafy, Commitment, Ottoman Empire, Policy.

Symbolism in Najib Mahfooz's Works

Dr. Javad Asghary

Assistant Professor, Tehran University, Qom Campus

It is not possible to study Najib Mahfooz's narrative works from single point of view, because due to his familiarity with intellectual and philosophical trends and movements, there are various directions and tendencies in his novels, and different literary schools such as realism, symbolism, and existentialism can be observed in his works. This article deals with those novels of his which has symbolistic attributes. These novels include *Olade Haratēna*, *Al-los Wa-Al-Kalab*, *Al-Saman Wa-Al Kharif*, *Al-Tariqh Wa Al-Shahhaz*, *Sarsarto Fawqh Al-Nile* and *MirAmar*. It is worthy to mention that Najib Mahfooz, before reaching the stage of symbolism, had passed the stage of realism which includes novels such as *Al-qhahera Al-Jadida*, *Khan Al-Khalily*, *Bedaya Wa Nahaya*, *Zoqhaqh Al-Modaqh*, and triple novels, *Bayn Al-Qhasrayn*, *Qhasr Al-Shawqh* and *Al-Sokkariya*. There are some streaks of symbolism in these realistic novels, too. However, this stage is not the beginning of artistic symbolism in Mahfooz's works, and can be described as different layers in his works which has benefited different groups of Egyptian society.

Key words: Realism, Symbolism, Novels.

Content

- * Symbolism in Najib Mahfooz's Works1**
Javad Asghary, PhD.
- * Political Commitment and Obligation in the Poems of Ma'arouf Al-Rassafy2**
Mansoor Zarkoob, PhD.
Mahmood Reza Tavakkoly, PhD.
- * The Issue of Synonymity; Its Supporters and Opponents3**
Hamed Sedqhy PhD., & Tayyeb Seify, MA of Arabic Language and Literature
- * Semantic Change of the Word "Adab"4**
Ali Reza Mohammad Rezaii, PhD & Ali Sadat Wasely, MA of Arabic Language and Literature
- * The History of Punctuation; the Role of Romans, Indians, and Iranians in its Innovation and Reform 5**
Mahdi Momtahn, PhD.
- * Evaluation and Comparison of Vocabulary Diversity in the Writings of Mohammad Mandour, Sayyed Qotb and Mohammad Ghoneimy Helal6**
Houman Nazemyan, University student in PhD, Arabic Language and Literature

Quarterly of Arabic Language & Literature

Publisher:

Tehran University, Qom Campus

Editor in Chief:

**All Reza Mohammad Rezail, Assistant Professor of Tehran University, Qom
Campus**

Editorial Board

Adnan Tahmasby, Assistant Professor of Tehran University

Firooz Harirchy, Professor of Tehran University

Qhasem Mokhtary, Assistant Professor of Arak University

Gholam Abbas Rezail, Associate Professor of Tehran University

Hamed Sedqy, Assistant Professor of Tehran Teacher Education University

Khalil Parviny, Assistant Professor of Tarbiat Modarres University, Tehran

Mahmood Shakib, Associate Professor of Tehran University

Mohammad Ali Azarshab, Professor of Tehran University

Mohammad Fazely, Professor of Ferdosy University, Mashhad

Mojtaba Rahmandoost, Assistant Professor of Tehran University, Qom Campus

Nader Nezam Tehrany, Professor of Allame Tabataba'i University

Sadeq Ayinehvand, Professor of Tarbiat Modarres University, Tehran

Seyyed Amir Mahmood Anwar, Professor of Tehran University

Seyyed Fazlollah Mirghadery, Assistant Professor of Shiraz University

Seyyed Mohammad Mahdi Ja'fari, Professor of Shiraz University

**Managing Editor: Hojjat Al-Islam Habib Allah Taheri, Associate Professor
of Tehran University, Qom Campus**

Director of Interior: Mahdi Ra'isy

English Translator: Abolfazl Imany Raqheb

Typography: A'zam Chavoshy

Address: Tehran University, Qom Campus

P.O.Box: 357, old Qom - Tehran Road

Islamic Republic of Iran. Tel: 6166120 Fax: 6166112

E-Mail: Arabica@qc.ut.ac.ir



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

Arabic Language & Literature

Vol.1 - NO.3- winter 2006

- ✱ Symbolism in Najib Mahfooz's Works.....1
Javad Asghary, PhD.
- ✱ Political Commitment & Obligation in the Poems of Ma'arouf
Al-Rassafy2
Mansoor Zarkoob, PhD.
Mahmood Reza Tavakkoly, PhD.
- ✱ The Issue of Synonymity; Its Supporters & Opponents3
Hamed Sedqhy PhD.
Tayyebeh Seify, MA of Arabic Language & Literature
- ✱ Semantic Change of the Word "Adab"4
Ali Reza Mohammad Rezaii, PhD.
Alieh Sadat Wasely, MA of Arabic language & literature
- ✱ The History of Punctuation; the Role of Romans, Indians &
Iranians in its Innovation & Reform 5
Mahdi Momtahn, PhD.
- ✱ Evaluation & Comparison of Vocabulary Diversity in the Writings
of Mohammad Mandour, Sayyed Qotb & Mohammad Ghoneimy
Helal6
Houman Nazemyan, University student in PhD, Arabic Language &
Literature